أديان العرب ومعتقداتها
في
طبقات ابن سعد

اعداد هالة الناشف

رسالة مقدمة الى الدائرة العربية في
الجامعة الاميركية في بيروت
للحصول على درجة ماجستير في الآداب

تشرين الثاني ١٩٧٢

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

Thesis Title:

By

Hala Nashef
(Name of Student)

Approved: Profs.

Ihsan Abbas — Ihsan Abbas
Advisor

Antoine Karam — Antoine G. Karam
Member of Committee

Khalil Hawi — K. Hawi
Member of Committee

Nadeem Naimy — N. Naimy
Member of Committee

Sami Makarem — Sami N. Makarem

Date of Thesis Presentation: Nov.24,1972

" THESIS RELEASE FORM"

American University of Beirut

I, Hala Nashef :

[✓] authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals upon request.

[ ] do not authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals.

H. B. Nashef

Signature

Nov. 27th 1972

Date

فهرس المحتويات

صفحة

صفحة

مقدمــــة

ولد ابو عبدالله محمد بن سعد ، صاحب الطبقات الكبرى في البصرة ، وانتقل الى بغداد ، وتوفي فيها سنة مائتين وثلاثين . وقد لازم الواقدي وروى عنه حتى عرف بكاتب الواقدي . وكان ثقة عالما بأخبار الصحابة والتابعين وله من الكتب كتاب أخبار النبي (صلعم) . وقيل أنه ألّف كتبه من تصانيف الواقدي[1] ، ولعله اعتمد في كتاب الطبقات الكبرى على طبقات استاذه .

وكتاب الطبقات لابن سعد عني بسيرة النبي وأجداده ، التي احتلت الجزأين الأولين من الكتاب ، وبتراجم الصحابة والتابعين ، وقد شملت الاجزاء الخمسة التالية ، في حين ان الجزء الثامن ، وهو آخرها ، يشمل تراجم النساء .

وقد اعتمد ابن سعد في تقسيم طبقاته على عنصرين ، احدهما زماني والآخر مكاني[2] . وابتدأ بعد سيرة النبي بترجمة للبدريين

---

(١) ابن النديم ـ الفهرست ـ المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٣٤٨ هـ ، ص ١٤٥ .

(٢) انظر ـ ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ، ١٣٨٠هـ ، ١٩٦٠ م ، المقدمة للدكتور احسان عباس .

المهاجرين أولا ثم الأنصار . وبعد ذلك ترجم للصحابة ممن لم يشترك منهم ببدر ، مبتدأ بالمهاجرين ، متمما بالأنصار . ثم اعتمد العنصر المكاني في تقسيم الصحابة والتابعين حسب الامصار التي نزلوها . وفي كل طبقة من الطبقات ، كان السابق الى الاسلام اسبق الى الظهور على صفحات الكتاب . وفي الجزء المخصص للنساء ، اعتمد على قربهن للنبي أولا ، فترجم لبناته ، ثم لعماته ، وبعده لبنات عمومته ثم لأزواجه ، ومن بعد ذلك انتقل الى التقسيم القبلي .

وهذا الكتاب الذى عرض فيه صاحبه سيرة النبي الكريم وترجم فيه للصحابة والتابعين مصدر هام لمختلف المظاهر الاجتماعية والمعيشية ، بدرجات متفاوتة من الكثرة او القلة ، في العصرين الاسلامي المبكر والجاهلي المتأخر . وقد اعتمده الكثيرون مصدرا مهما في ابحاثهم ، الا انه قلما رجع اليه باحث في الشؤون الدينية في العصر الجاهلي ، وذلك لوجود مصادر اخرى اهتمت اهتماما خاصا بهذا الباب ، فأفردت له فصولا ، كالمحبر والمنمق لابن حبيب ، وكالسيرة لابن هشام ، وأخرى قصرت بحثها على هذا الموضوع كالاصنام لابن الكلبي . فكاد كتاب الطبقات في البحوث التي تتعلق

بالدين والمعتقد في الجاهلية ان يظل مهملا . غير ان ابن سعد لم يهمل المعتقدات التي كانت سائدة قبل الاسلام . فقد عرض لبعض الشعائر والمعتقدات الدينية والاحداث ذات الدلالة على المعتقد . ومع انه لم يذكر هذه الامور لذاتها ، فأنه أتى بأخبار لها أهميتها في هذه الناحية ، وان لم يلم بكل شيء عن الديانات .

وقد جاءت الاخبار الدينية عن فترة الجاهلية مقتضبة تارة ، تكاد في بعض الاحالات تقتصر على جملة واحدة ، ومسهبة – نسبيا – تارة أخرى اذ تمتد الى بضعة اسطر او اكثر . وبما انها ذكرت عرضا ، فقد أتت متفرقة على صفحات الكتاب ، يحتاج تتبعها الى قراءة الكتاب كله .

وقد جاءت هذه الاخبار بالنسبة الى طبيعة اسنادها على وجوه : فمنها روايات مرسلة ، وهي قليلة نسبيا ، واغلبها يتناول المادة المشتركة بين الطبقات وغيره من المصادر التي تعنى بهذه الناحية ، باستثناء خبر هدم مناة الذى انفرد ابن سعد فيما ذكره عن طريقة هدمه (٣) . ولعل احاديثه

---

(٣) الطبقات ، مج ٢ ، ص ١٤٧ .

المرسلة التي استهلها بالكلمة " قالوا " ، كانت علما مشاعا لدى غالبية أهل ذلك الزمان ، كامتناع اليهود عن القتال في السبت الذي جاء ضمن الحديث عن غزوة الخندق [٤] ، وهي غزوة معروفة أخبارها ، ومنه كتابة العهد بين المسلمين والمشركين في صلح الحديبية ، وما جاء على لسان المشركين من معرفتهم اللـه وانكارهم الرحمن الرحيم [٥] . ومنه أيضا الاصنام التي كانت حول الكعبة حين الفتح وعددها وأسماء بعضها [٦] ، ثم السرايا الى هدم الاصنام [٧] .

ومنها أخبار وروايات مسندة يرجع بعضها الى ابن اسحاق وابن الكلبي ، كما يرتفع بعضها الآخر الى ابن عباس ، رواها عكرمة او رواها غيره . من تلك الاخبار أخذ بركة الصنم سواع واللجوء اليه لشفاء الشياه الجرباء [٨] ، ومنها الضرب بالقداح على الكنز الذى وجده

---

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٩ .
(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٠١ .
(٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٣٧ .
(٧) المصدر نفسه ج٢ ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٦٤ وغيرها .
(٨) المصدر نفسه ج ١ ، ص ١٦٨ .

عبد المطلب حين حفر زمزم ، ومنها أيضا ما قاله اليهود لتبع حين أراد تخريب يثرب ليعود أهلوها الى حظيرة دين العرب [٩] .

ومن تلك الاخبار ما يعود الى الزهري والى عائشة وابي ذر وأبي هريرة ، ومنها ما يتوقف فيه الاسناد عند صاحب العلاقة بالخبر ، كخبر الغميصاء ، وما قالته لخاطبها حين كان مشركا [١٠] .

وقد تتعدد الروافد للخبر الواحد ، فيوحد ابن سعد بينها ويقول ، بعد ان يذكر الرواة : دخل حديث بعضهم في حديث بعض . وبين هؤلاء الرواة احيانا يرد اسم ابن اسحاق او ابن الكلبي . فتأتي رواية ابن سعد احيانا مختلفة قليلا عن رواية ابن اسحاق في السيرة او ابن الكلبي في الاصنام ، ومتفقة احيانا اخرى .

لهذا كله نجد ان ابن سعد ـ برغم انه لم يعتمد في جميع رواياته على ابن الكلبي وابن اسحاق ـ يتفق مع هذين الروايتين في كثير

---

(٩) المصدر نفسه ،مج ١ ، ص ١٥٩ .

(١٠) المصدر نفسه مج ٨ ، ص ٤٢٧ .

من الروايات ٠ ولولا انه انفرد ببعض الاخبار لقلت انه لا يمثل الا جزءا من الرواية العامة التي يمثلها هذان الراويتـان ٠

لذلك يمكن القول ان كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد يضـيف قليـلا الى بعض الاخبار ، ويسـد بعض الثغرات في دراسـة الحياة الدينيـــة فـــي الجاهليـة ، ولكنه لا يعتبر مصدرا اساسيا لهذه الدراسـة ٠

ولما كان كتاب ابن سعد حجر الزاويـة في هذه الدراسـة فقـــد حرصـت على ان تكون المادة التي وردت فيه عن المعتقدات الدينية هي منطلقي دائما في هذه الدراسـة ، ومن ثم تجيء المقارنة بين ما اورده ابن سعد وما اشبهه في المصادر الهامة المتعلقة بالموضوع ٠ اما ما لم يذكره ابن سعد فلم اعرض له الا في النادر اي عندما كان ذكره ضروريا لتوضيح موقف ما ٠ ولم اسمح لنفســي بالتوسع في المقارنة ، اذ انني لم اكتب رسالة في الدين في الجاهلية ، وانما كان همي منصرفا الى تبيان دور " الطبقات " وقيمته في دراسة الدين عند الجاهليين ٠

الفصـــل الأول

معبـــــودات الجاهليـــين

(١) اللـــــه :

يؤخـذ مما ورد في القرآن ان الجاهليين كانوا يؤمنون بالله فوق مستوى الاصنام والاوثان ذات الاشكال المحسوسة ،اذ جاء فيه " ولئـــن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولنّ الله " (١) وجـاء فيه ايضا " ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعـــد موتها ليقولنّ الله " (٢) وقد كانت لفظة " الله " دارجة بينهم قبل ظهـــور الدعوة الاسلامية ،وغالبا ما كانت تستعمل في صيغة النداء فهذا ابو طالـــب يقول : اللهم انصرنا ممن ظلمنـا (م١ / ص ١٨٩) ،وهذا الوليـــــد ابن المغيرة يقول وهو يبدأ بهدم البيت : اللهم لم ترع ،انما نريـد الخـير (١٤٥/١) . وكانوا يكتبون في عقودهم " باسمك اللهم " ،فالصحيفـــة التي كتبتها قريش في مقاطعة بني هاشم (٣) ،كتبت فيها " باسمك اللهم " ،وهي

---

(١) ٦١ / العنكبوت

(٢) ٦٣/ العنكبـوت

(٣) ابن هشام ــ السيرة النبوية ــ تحقيق مصطفى السقا ،ابراهيم الابيارى ، عبد الحفيظ شلبي الطبعة الثانية ،مطبعة البابي الحلبي ،مصر ١٩٥٥ ، مجلد ١ ،ص ١٥٣ ــ ١٥٤

العبارة التي ابقت عليها الارضة (١/ ١٨٩) كما تقول الرواية • هذا وكان النبي ،صلعم ،يكتب كما تكتب قريش " باسمك اللهم "[٤] حتى نزلت عليه " اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها " (١/ ٢٦٣) • وقد استعملوا الصيغة المخففة وهي " لاهم " كما في قول عبد المطلب :

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك (١/ ٩٢)

و" لاهم هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك ••••••(١/ ٩٠)

ومع ان كلمة رحمن وردت في النقوش(Jamme 1028, Ryckmans 508) الا ان الجاهليين أصروا ،عندما أراد الرسول ان يدرجها في صلح الحديبية بأنهم لا يعرفونها ولا يعرفون الرحيم (م٢ / ص ١٠١) في حين ان جماعة من قريش قالت بمعرفة الرحمن ولكنه رحمن اليمامة كما دعته[٥] (١/ ١٦٥) كما كان هنالك واد يقال له وادي الرحمن (١/ ٢٦٨) وقال الجاهليون " قد عرفنا ان الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق " (١/ ٢٠٥) فالصفات التي كانوا يلحقونها بالله هي القدرة على الخلق والرزق والاحياء والاماتة• ونراهم يلجأون اليه في الاستسقاء ،فهذا عبد المطلب يتوجه الى الله داعيا :

(٤) السيرة م ١ ،ص ٣٧٦

(٥) وهو رجل كان قد تسمى بالرحمن في الجاهلية ،وذلك قبل أن يولد رسول الله • السيرة م١ ،ص ٣١١ الحاشية •

" لاهم ...... تتابعت علينا هذه السنون .... فأذهب عنا الجدب وائتنا بالحيا والخصب " (١/ ٩٠) ،فاذا ما سالت الاودية عرفوا أن الله استجاب لهم وهو ما قالته رقيقة : " بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا " ،وعرفوا ايضا انه هو الذى فجّر لهم الماء من الارض حين اشتد بهم العطش . وهم في طريقهم الى الكاهنة ،فقال عبد المطلب : " هلموا الى الماء الرواء فقد سقانا الله " (١/ ٨٤) .

والصورة التي يستمدها الدارس لطبقات ابن سعد هي أن معرفتهم لله كانت بقية من دين اساسه التوحيد ،وهو دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ،او هو " دين العرب " كما سماه تبع الذى اراد تخريب المدينة ليبتعد اهلها عن اليهودية ويرجع الامر الى ذلك الدين (١/ ١٥٩) ،ولكن بعد العهد بهذا الدين جعله نسيا لا يذكر ولا يؤخذ به ،وهذا ما جاء على لسان راهب في الشام فقد قال لزيد بن عمرو بن نفيل : " أراك تريد دين ابراهيم ! يا أخا اهل مكة ،انك لتطلب دينا ما يؤخذ به اليوم ،وهو دين ابيك ابراهيم " (١/ ١٦٢) ولكن تقادم العهد لم ينس العرب ان لله بيتا هو الكعبة (٦) فهذا عبد المطلب يقول لا برهة : " اردد عليّ ابلي ودونك والبيت

---

(٦) السيرة م١ ،ص ٨٣

فان له ربا سيمنعه " (٧) ،ثم يقف ويدعو الله ان يمنع بيته (٩٢/١) .

والى بيت الله هذا كانوا يولون وجوههم ،حتى أن المسلمين عندما امروا بالتوجه الى الكعبة قيل : " ما ولاّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها " (م ٤ / ص ٣٦٧) والى هذا البيت ايضا كانوا يحجون ،ويدعوهم القرشيون زوار الله وضيوفه ويدعون انفسهم جيران الله (٧٨/١) .

فهم اذن ،كانوا يعرفون الله ،ويؤمنون به الها يعلو على الاصنام والاوثان ،التي عبدوها لتقربهم الى الله ،وهذا ما جاء على السنتهم: " قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ..... ولكن آلهتنا تشفع لنا عنده " (٢٠٥/١) ويشبه هذا قول القرآن فيهم " ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى " (٨) من هذا كله نرى ان الايمان بالله تراجع وتضاءل بينما برز دور الوسيط والشفيع ، ومع مرور الزمن أصبح الشفيع مدار العبادة واصبح دوره اكثر وضوحا في حياة العرب من دور الله . فالصنم له وجود محسوس ،وهو يرى ويلمس في حين ان لله وجودا غير مرئي . ومع ان الصنم لم ينف وجود الله ولم يؤد الى انكار

(٧) السيرة م١ ،ص ٤٨ ،ص ٥٠

(٨) ٣/الزمر .

وجوده فانه استأثر بمظاهر العبادة واصبح مدار الشعائر ، " وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون " (٩) .

(٢) الاصنـــام والاوثـــان والانصـــاب :

لم يبين ابن سعد كيف بدأت الوثنية ولا كيف انحرف العرب عـــن دين ابراهيم الحنيف حتى اصبحوا مشركين ، ولكن المصادر الاخرى اوردت روايات مختلفة ، فمن قائل ان عمرو بن لحي هو الذى غير دين اسماعيل (١٠) ، ومن قائل ان الذى سلخ بهم الى ذلك كان احتمالهم للاحجار من الحرم تعظيمـا له ثم عبدوا هذه الاحجار (١١) . وحين يذكر ابن سعد هذه المعبودات يسميها اصناما في الغالب (٢/ ١٣٧) (م٣/ص ٥٩٨) (٤/ ٣٧٨) واوثانا احيانا (م٨/ ص ٣٠٤) . وابن سعد لا يختلف عن غيره من الرواة والمؤلفين في استعمـال كلمتي الصنم والوثن في معنى واحد . هذا مع ان ابن الاثير وابن سيـــــده وابن عرفه (١٢) وابن الكلبي (١٣) اعطى كل واحد منهم تعريفـا للصنم وللوثـــن

---

(٩) ١٠٦/ سورة يوسف

(١٠) لمعرفة المزيد راجع : ابن حبيب البغدادى - المنمق - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن - الهند - ١٩٦٤ ص ٤٠٥ - ٤٠٦ ، هشام بن محمد السائب الكلبي - الاصنام - تحقيق احمد زكي ، مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٢٤ - ص ١٣ ، ٥٤ - ٥٥

(١١) الاصنام ، ص ٦

(١٢) اللسان مادة وثن

(١٣) الاصنام ، ص ٣٣ ، ص ٥٣ .

كما حاول التفريق بينهما .

اما النصب [١٤] فهو ايضا استعمل استعمالا مبهما وكل ما ذكره ابن سعد حوله هو الذبح على النصب (٢/ ٥٦)

مادة المعبودات واشكالها :

وكانت هذه المعبودات من حجر او خشب او معدن [١٥] ولكن ابن سعد أشار الى كونها من حجارة او من خشب فقط . من ذلك ما قاله النبي لخالد بن سعيد ابن العاص ردا على سؤاله : يامحمد الى ما تدعو؟ " .... ادعو الى الله .... وخلع ما انت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ... " (٤/ ٩٤) . ومنه ايضا ما قاله ابو عثمان النهدي : كنا في الجاهلية نعبد حجرا (م ٧/ ص ٩٧) . واما ما قالته الغميصاء ، وهي ام انس بن مالك ،فيدل على كون الاصنام من حجر او خشب وذلك في قولها لابي طلحة ،وهو مشرك : " أرأيت حجرا تعبده لا يضرك ولا ينفعك ، او خشبة تأتي بها النجار فينجرها لك ... " (٨/ ٤٢٦) وفي رواية

---

(١٤) راجع اللسان مادة نصب ،الاصنام ،ص ٣٣ ، ٥٤
(١٥) اللسان مادة وثن ، الاصنام ص ٥٣ .

اخرى قالت : " ... اما تعلم يا ابا طلحة ان آلهتكم التي تعبدون ينحتها عبد آل فلان النجار ..... وانكم لو شعلتم فيها نارا لاحترقت " (٨/ ٤٢٧) دلالة على انها من خشب [١٦] . وذكر ابن سعد ايضا ان ذا الكفين كان من خشب (٤/ ٢٣٩) . ويتضح من قول الغميصاء " ينحتها عبد آل فلان النجار " انه كان للاصنام اشكال معينة،الا ان ابن سعد لم يحددها ولم يتطرق لشكلها ان كانت اصناما خاصة لفرد او عائلة او عامة لعشيرة او قبيلة ، باستثناء حالة واحدة اذ ذكر ان وثنا كانت تعكف عليه نساء مكة في رجب كان على هيئة رجل (٨/ ١٥) ،ولكنه لم يذكر اسم الوثن في حين ان مصادر اخرى حددت اشكال بعض الاصنام ،من ذلك اللات التي قيل انها كانت صخرة بيضاء عظيمة [١٧] والفلس الذى وصف بانه انف احمر في وسط الجبل أجأ [١٨] . الا ان ذكر صنم،اطلق عليه ابن سعد اسم بوانة في حمى الكعبة (٢/ ١٣٧) ،وبوانة اسم هضبة ،يدل على ان ذلك الصنم ،الذي

---

(١٦) كان عمرو بن الجموح ،من اهل المدينة ،قد اتخذ في داره صنما من خشب انظر السيرة م١ ،ص ٤٥٢ .

(١٧) ابن حجر ،فتح الباري بشرح البخاري — مطبعة مصطفى البابي الحلبي ،مصر ١٩٥٩، باب التفسير ،الاصنام ،ص ١٦ — ١٧ ؛ ياقوت بن عبد الله الحموي — معجم البلدان — دار صادر ،دار بيروت — بيروت ١٩٦٨ ،مادة اللات .

(١٨) الاصنام ص ٥٩ ،معجم البلدان مادة الفلس .

كان ببوانة الهضبة ،له شكل معين • ولعله اخذ اسمه من اسم المكان واطلق على شبيهه في جوار الكعبة الاسم نفسه ،اى انه كان ذا شكل خاص به ، وان لم يبين لنا المؤلف ما هو •

وكان البدوي من اهل الوبر لا يعنى كثيرا بان يكون لصنمه شكل ، اذ كان ينزل الحي فيبحث عن حجر يدعوه الها • وهذا ما وضحه عمرو بن عبسة السلمي في قوله : " اني امرؤ ممن يعبد الحجارة ،فينزل الحي ليس معه اله فيخرج الرجل منهم فيأتي باربعة احجار فينصب ثلاثة لقدره ،ويجعل احسنها الها يعبده ،ثم لعله يجد ما هو احسن منه قبل ان يرتحل فيتركه ويأخذ غيره اذا نزل منزلا سواه " (١٩) (٤/ ٢١٧) •

اماكن عبادة الاصنام :

تبين مما سبق ان البدوي كان يفتش عن رب يضعه في محل نزوله حرصا على " رمز " ما • وما كان اهل المدر ليختلفوا عن اهل الوبر

---

(١٩) وهذا يتفق مع ما قاله ابن الكلبي ،انظر الاصنام ص ٣٣ ،وذكر ابن حبيب احد الذين اكثروا من تغيير اربابهم وهو الحارث بن قيس بن عدي السهمي وهو صاحب الاوثان ،وكان كلما مر بحجر احسن من الذى عنده اخذه والقى ما عنده وفيه نزلت الآية " أرأيت من اتخذ الهه هواه " (٢٣/سورة ٤٥)، المنمق ص ٤٨٤ ــ ٤٨٥) •

من هذه الناحية ،فهم ايضا كانوا يحتفظون بالاصنام في بيوتهم يتبركون بها ويتمسحون [٢٠] ومن الذين وضعوا اصناما في بيوتهم ،هند بنت عتبة (٨/ ٢٣٧) وابو الدرداء (٧/ ٣٩١) ٠ ولم يكونا الوحيدين ،فان منادي الرسول ،حين تم فتح مكة ،نادى في الناس : من كان يؤمن بالله واليوم آلاخر فلا يدع في بيته صنما الا كسره (٢/ ١٣٧) ٠ وكانت لبعض الاصنام بيوت وحمى ،وسدنة تقوم على خدمتها ٠ ولعل اهم هذه الاماكن الكعبة التي كان حرمها يضم عددا من الاصنام قيل انه بلغ ثلاثمائة وستين (٢/ ١٣٦) ٠ ومن آلالهة التي كان لها حمى العزى واللات ومناة وذو الشرى ،وسيأتي ذكرها وذكر غيرها وذكر احمائها حين يجيء دور القول في هذه آلالهة ٠ وكان العرب لا يعضدون شجر الحمى تقديسا له وخوفا من اله الحمى (١/ ٧١) ٠

التسمية بآلالهة :

آلهة العرب كثيرة ومتعددة ،وقد تسموا ببعضها تعبيرا عن العبادة والبر [٢١] ٠ وهذا ما فعله قصي بن كلاب فقد قال :

---

(٢٠) السيرة م١ ،ص ٨٣ ،الاصنام ،ص ٣٣

(٢١) راجع مقالة الدكتور ليتمان ،اسماء الاعلام في اللغات السامية ،مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الاول ــ ديسمبر ١٩٤٨ ٠

" ولد لي اربعة رجال فسميت اثنين بالهي ... " واللذان سماهما بالهه عبد مناف وعبد العزى [٢٢] (١/ ٧٠) ،ولم يكن عبد العزى وعبد مناف ،ابنا قصي ،الوحيدين اللذين تسميا باسماء الآلهة ،بل تسمت العرب بالعزى ومناف وغيرهما فكان عبد شمس وعبد يغوث وعبد ود وعبد اللات [٢٣] وعبد مناة ،وقد تكررت هذه الاسماء ووردت في نسب العديد ممن ترجم لهم ابن سعد ،ونجدها على صفحات طبقاته . وهناك من تسمى باسم هبل ،وقد ورد هذا الاسم مرتين احدهما في نسب تماضر بنت الاصبغ (٨/ ٢٩٨) والاخرى في نسب سكينة بنت الحسين (٨/ ٤٧٥) ،وفي المرتين كلتيهما كان يشير الى شخص واحد . اما الانتساب الى ما يرمز لاله ،فنراه في اسم بني وثن وهم من همدان (م ٦/ ص ٣٦٩) .

ولو استعرضنا هذه الاسماء لوجدنا انها في غالبيتها تبدأ بكلمة عبد ولعل هذه التسمية توضح العلاقة بين الانسان العربي والهه ،فهي علاقة رب وعبد . ومما يؤكد هذه العلاقة ما قاله عبد المطلب في دعاء الاستسقاء : " لاهم هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك

---

(٢٢) المنمق ،ص ١٨

(٢٣) تيم اللات ،بمعنى عبد اللات ،انظر لسان العرب مادة تيم .

اماوك وبنات امائك " (٢٤) (١/ ٩٠) • وهي احدى علاقتين قال بهمـــا روبرتسون سميث ،اما الثانية فهي علاقة ابوة (٢٥) • ولكـــن علاقـــــة الابوة عند العربي تحمل في طياتها شيئا من السيادة ،فهذا قصي عندمـــا سمى ابناءه ،سمى اثنين بالهه ، كما ذكرنا ،وثالثا باسمه فكان يقال لـــــه عبد قصي (١/ ٧٠) وربما كان هذا يعني تقديس الاسلاف عنـد العـــرب • ويتضح هذا الامر في خبر ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر الذين ،ان صحـــت الرواية ، كانوا اجدادا صالحين ، ثم مع مرور الزمن اتسعت حولهم هالـــة التقديس فأصبحوا آلهة تعبد (٢٦) • وان كانت الرواية موضوعة ،وهذا هـــو الغالب ،فان العقلية التي وضعت القصة تشير الى أن مكانة السلف في قلـــوب الخلف كانت تتسم بالاجلال والسيادة ،ثم تزداد قوة مع الزمن حتى تصـــل الى درجة التقديس •

اسمـــاء الاصنـــام التي ذكرهـا ابن سعـــد :

(مرتبة بحسب الترتيـــب الهجائي •)

---

(٢٤) المنمق ص ١٦٨ ــ ١٦٩ •

(٢٥) Smith, W. Robertson, Lectures on the Religion of the Semites, Adam & Charles Black, London, 1894 p.70 pp. 40-44.

(٢٦) الاصنام ،ص ٥١ ــ ٥٢ •

١ - اساف : (٢٧)

وقد ورد اسمه مقترنا باسم نائلة (٢٧) . واساف ونائلة صنمان كانا عند الكعبة ،كانت قريش تطوف حولهما وتدعوهما . وقد سمع ابو ذر الغفاري امرأة تطوف بالبيت وتدعو بدعاء حسن حتى اذا ما اتت الى نهاية دعائها ختمته بقولها : " يا اساف ويا نائلة " (٤/ ٢٢٣) . وفي الاصل كما تقول الروايات ،كانا رجلا وامرأة عشق الواحد منهما الآخر ،وقد وفدا حاجين ،حتى اذا ما وجدا خلوة في البيت فجرا فمسخا فوضعا خارج الكعبة ،ثم تزلفت اليهما قريش من بعد ،وهذا ما عناه ابو ذر في قوله للمرأتين اللتين كانتا تطوفان بالبيت في ليلة قمراء وتدعوان اساف ونائلة : " انكحا احدهما الاخر " فهو بذلك يذكرهما بان من يدعوان من دون الله هما مسخان لفاجرين . وقصة الصنمين هذه قصة موضوعة والارجح انه اتى زمان على العرب وجدوا فيه هذين الصنمين في جوار الكعبة ،ولم يعرفوا كيف وجدا ،فوضعوا هذه القصة . ولعل الذى دعا الى وضعها هو وجود الصنمين ملطخين بالدماء ،

---

(٢٧) لمعرفة اسميهما الكاملين واصلهما وموضعهما ومن كان يعبدهما وتلبية اساف يمكن الرجوع الى الاصنام ص ٩ ، ص ٢٩ ،والسيرة م ١ ص ٨٢ ،ص ٨٣، ص ١٤٦ ،ص ١٥٣ ،ص ١٥٤ ،ومعجم البلدان مادة اساف ،والمنمق ص ٣٤٤ - ٣٤٥ ،ص ٣٥٤ - ٣٥٥ ،ص ١٣١ ،وابن حبيب البغدادي - المحبر - رواية ابي سعيد الحسن السكري ،طبعة مصورة ،منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر - بيروت ،ص ٣١١ - ٣١٨ .

فان الخطيئة لا يتم التكفير عنها الا بالتضحية واراقة الدماء ، وهذا امر كـــان شائعا عند الساميين . والذي يهمنا في القصة ،هو النمط الثقافي الذي يكمـــن وراءها . فقولهم وفدا حاجين ابعاد للتهمة عن مجاوري الكعبة لانهـــــم يعرفون قدسيتها ،وقولهم فجرا في الكعبة ،فمسخا صنمين يدل على تحريـــم الاتصال الجنسي بين الحجاج ،وعلى تحريمه في الكعبة او في حماها [(٢٨)] ، ولكن الاثم اذا ما تم التكفير عنه ،ومع مرور الزمن ،يصبح مرتكبه شفيعا او وليا ، وهذا ما حدث لاساف ونائلة ،حسب الرواية . فأصبحا شفيعين لقريش عند الله تتزلف اليهما وتتقرب بالقرابين وتدعوهما تزلفا لله (٤/ ٢٢٣) .

٢ — بـــوانـــــة :

كان بين الاصنام التي وجدت حول الكعبة ،والتي امر النبي بكسرهـــا (٢/ ١٣٧) . وبوانة هضبة وراء ينبع قريبة من ساحل البحر [(٢٩)] وكـــان بها صنم تحضره قريش وتعظمه ،ولعله اتخذ اسمه من اسم المكان حتى تسمى باسمه شبيهه الذي كان في جوار الكعبة (٣/ ٣٨٠) . ولم يذكر احد هذا الصنـــم

---

(٢٨) انظر سميث ص ٤٨١، ص ٤٥٤، ٤٥٥،

(٢٩) معجم البلدان ،مادة بوانـــــة .

غير ابن سعد . وذكر عنه ايضا ان القرشيين كانوا ينسكون له النسائك ويحلقون رؤوسهم عنده ، ويعكفون عنده يوما الى الليل وذلك يوما في السنة (١/ ١٥٨) .

٣ — ذو الخلصـــــــة :[٣٠]

صنم كان لخثعم وبجيلة ودوس وقد نفى ابن حجر ان يكون لدوس علاقة به[٣١] . ولكن ام شريك الدوسية روت انها كانت وقومها في دارهم قبل ان يرتحل بهم ،وكانوا بذي الخلصة (٨/ ١٥٥) ،ولعلها عنــــت بذلك حمى الاله وهذا يدل على انهم كانوا يعبدونه . واما الذي هدمـــه فهو من بجيله ،وهو جرير بن عبد الله البجلي (١/ ٣٤٧) ،فتبـــــع ذلك ان اقبل رجال من خثعم على النبي واسلموا (١/ ٣٤٨) . وهـــذا يدل على انه كان لدوس وبجيلة وخثعم .

---

(٣٠) لمعرفة المزيد عن ذي الخلصة ،شكله وبنيانه ،والاستسقام عنده والنحر له والتقدمات انظر معجم البلدان مادة الخلصة ،الاصنام ،ص ٣٣ ،٣٥ — ٣٦ ، ص ٤٧ ،السيرة م ١ ،ص ٨٦ ، المحبر ،ص ٣١٧ ،ابن حجر في كتاب المغازي وللتلبيه المحبر ص ٣١٢ .

(٣١) انظر ابن حجر ،كتاب المغازي .

٤ - ذو الشـــــــرى :

صنم كان لدوس [٣٢] وله حمى يحمونه يقال له حسي . وكان بــــه وشل من ماء يهبط من الجبل . ولما رجع الطفيل بن عمرو من مكـة مسلمــــا اراد ت أمرأته ان تتبعه وتكون على دينه ،فأمرها ان تذهب الى حسي ذي الشرى وتتطهـر منه ،فسألته : بأبي انت ،أتخاف على الصبية من ذي الشرى شيئا ؟ قال : لا ،انا ضامن لما اصابك (٤/ ٢٣٩) ،ويبدو من سؤالهـــــــا انه كان هنالك سبب خافت منه هذه المرأة على نفسها ،وينقل سميث عن قلهـــاوزن تعليقه على قول المرأة : انها باعتناقها الاسلام توجب عليها تطهير نفسهـا . ويعتقد ان المرأة التي تكون بحاجة الى الغسل لم يكن ليسمح لها باستعمـال المياه المقدسة [٣٣] . ويقول سميث انه لم يكن ليجرؤ شخص غير طاهـــــر على الاقتراب من الماء المقدس . ويضيف ان الاقدمين لم يكونوا ليفرقوا بـــين حالتي عدم الطهارة ، الجسدية منها والروحية [٣٤] . ولا نستطيـــــع

---

(٣٢) يتفق ابن اسحاق في السيرة م١ ص ٣٨٤ مع ابن سعد في ان ذا الشرى صنم دوس وكذلك ياقوت في معجم البلدان مادة الشرى ،اما ابن الكلبـــي فيقول انه لبني الحارث بن يشكر بن مبشر من الازد ،الاصنام ص ٣٧ .

(٣٣) سميث ،ص ١٦٨ .

(٣٤) سميث ،ص ١٧٩ .

التعليق على تأويل ثلها وزن وسميث ،لان الرواية لم تبين لنا سبب اغتسال المرأة أو سبب خوفها • والظاهر ان زوجها ارادها ان تتطهر من رجس الوثنية ،وانها خافت ان تكون باغتسالها بمياه ذي الشرى ترتكب اثما حسب المعتقد الجاهلـــــي ، او تخرق تقليدا وبذلك تتعرض لانتقام الاله •

• — سـواع :[٣٥]

كان صنم هـــذيل [٣٦] • وكان له ،كما لاصنام اخرى ،سادن يقوم على خدمته • كما كانت له خزانة تحفظ فيها الهدايا التي تقدم للصنــــم • وقد اعتقدت هذيل ان هنالك قوة تمنعه وتصد عنه من يريد به الاذى اذ عندما ذهب عمرو بن العاص في سرية لهدم الصنم ،قال له السادن : لا تقدر علــى ذلك ،تمنع (٢/ ١٤٦) وكانت هذيل تقدم له الذبائح (١/ ١٦٧) وتطلب منه البركة والبرء اذا اصابها او اصاب ماشيتها سوء او مرض (١/ ١٦٨) •

(٣٥) قيل انه صنم قديم اتخذه هذيل بن مدركة ،وهو كما قيل من اصنـــام قوم نوح ،واخذه عمرو بن لحي فاعطاه لهذيل بن مدركة • انظر الاصنام ص ٩ـ ١٠، معجم البلدان مادة سواع ،والتلبية المحبر ،ص ٣١٢ •

(٣٦) قال ابن حبيب انه لم يكن لهذيل وحدها بل عبده بنو كنانة ومزينة وعمرو بن قيس بن عيلان المحبر ،ص ٣١٦ ،ويقول ايضا ان مضر عبدته ،المنمق ، ص ٤٠٦

٦ - شمس : [٣٧]

تسمت العرب بها فقيل عبد شمس وعبشمس . ويبدو ان بعضهم كان يسجد لها في شروقها ومغيبها ،اذ قال النبي لعمرو بن عنبسة : " اذا صليت الصبح فأقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس ،فاذا طلعت فلا تصل حتى ترتفع ،فانها تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار . .. ثم اقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فانها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار " [٣٨] (٢١٦/٤ - ٢١٧) . ولعل هذا ما دعا زيد بن عمرو بن نفيل الى الانتظار حتى تزول الشمس قبل استقباله الكعبة بقصد الصلاة والسجود (٣٨٠/٣) فهو الرجل الذى رفض الوثنية بكل طقوسها وتقاليدها ،فابتعد عن السجود في وقت كان يسجد فيه الوثنيون [٣٩] .

---

(٣٧) يقول ياقوت أن الاسم شمس ،بضم اوله ،وكان صنما لبني تميم وله بيت وكانت تعبده بنوأد كلها ،معجم البلدان ،مادة شمس ،المحبر ص ٣١٦ ،للتلبية انظر المحبر ٣١٢ .

(٣٨) ابن حجر ،مواقيت - الحاشية .

(٣٩) لم تذكر المصادر شيئا عن الشعائر التي كانت تقام تقديما للشمس ،ولكن ابن اسحاق ذكر عن الرمي ،فقال كان لا يتم الا اذا مالت الشمس السيرة ج ١ ،ص ١٢٠

٧ — العـــــزى :

كانت ببطن نخلة وسدنتها من بني سليم . عبدتها قريش وجميـــع بني كنانة وكانت اعظم اصنامهم [٤٠] (٢/ ١٤٦) حتى ان نداءهـــم الذى نادوا به في احد كان : يا للعزى ! يا لهبل (٢/ ٤٢) وبلغ من فخرهم بها ان ابا سفيان رد على اصحاب الرسول حين قالوا : " الله اعلى وأجـــل "، بقوله : لنا العزى ولا عزى لكم [٤١] (٢/ ٤٨) وقد اكثروا من التسميـــة بها . وكثيرا ما قرنوها مع اللات فحين اسلم بلال بن رباح اخذه اهلـــه فمطوه والقوا عليه من البطحاء وجعلوا يقولون له : ربك اللات والعزى (٣/ ٢٣٢) وكذلك قالوا لزنيرة حين عميت : اصابتك اللات والعزى [٤٢] (٨/ ٢٥٦) . وكان للعزى صنم وضع مع اصنام اخرى حول الكعبة ،فلما كان الفتح ،ارســـل النبي السرايا الى الاصنام التي حول الكعبة لكسرها وكان بينها صنــــم العزى (٢/ ١٣٧) . واما حماها فكان بنخلة كما ذكرنا ،واعتقـــدت العرب ان العزى شيطانه [٤٣] . لذلك تسمى بها الكاهن العذري فكـان

---

(٤٠) السيرة م ١ ،ص ٨٣
(٤١) ابن حجر ،المغازي — غزوة احد
(٤٢) السيرة م ١ ،ص ٣١٨
(٤٣) الاصنام ،ص ٢٥

يقال له عزى سلمة [٤٤] (١/ ٨٨) للعلاقة بين الشياطين والرجم بالغيب .
وكان لها سادن من بني شيبان يسهر عليها ،وتقول الرواية ان النبي ارسل
خالد بن الوليد الى العزى ليهدمها ،فلما رجع سأله النبي : هل رأيت
شيئا ؟ قال : لا . قال : فانك لم تهدمها فارجع اليها .... فرجع
خالد ... فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ناشرة الرأس ، فجعل السادن
يصيح بها ،فضربها خالد فجزلها باثنين ورجع الى رسول الله ،صلعم ،فاخبره ،
فقال : نعم تلك العزى (٢/ ١٤٥ ـ ١٤٦) . ولم يبين ابن سعد
ما الذى هدمه خالد ،هل كان بناء ، ام انه عضد سمرة كما يقول ياقوت
وابن الكلبي [٤٥] . والارجح ان ما هدم خالد كان بيت العزى ثم
قطع الشجرات التي كانت في حماها كما يقول ابن حبيب [٤٦] .

---

(٤٤) المنمق ،ص ١١٠
(٤٥) معجم البلدان مادة العزى ،الاصنام ص ٢٥ .
(٤٦) المحبر ص ١٢٤

ومهما اختلفت الروايات حول الذي هدمه خالد فانها التقت جميعها حول امر واحد وهو ان العزى كانت شيطانة سوداء ناشرة شعرها ،وكانت تتخذ مكانا لها ببطن نخلة ،لها صنم حول الكعبة وآخر عند ثقيف (١/ ٣١٣) ،وهي الالهة الوحيدة التي قرنت بالشجر حتى ذهب ابن الكلبي وياقوت الى انها كانت ترتاد ثلاث سمرات (٤٧) .

وهنا يجدر بنا ان نتوقف عند نقطتين اولاهما انها كانت شيطانة ،وهذا يربطها بالقوة الخارقة التي كانوا يضفونها على الجن ،وبالانتقام ممن يسي ء اليهم ،لذا نسبوا اليها عمى زنيرة (٨/ ٢٥٦) . والنقطة الثانية ان خالدا " جزلها باثنين " ،فانه لم يرد في اى خبر جاهلي عن مقتل شيطان او جني بهذه الطريقة ،وكل الاخبار التي وردت عن مقتل الجن ،كان قتل الافاعي والحيات ،التي اعتقدوا ان الجن تتخذ شكلها (٤٨) . فاذا كان خالد قد قتل امرأة حبشية ،وقال له النبي : " نعم تلك العزى " ،فالارجح انهم ،اي العرب ،قد اعتقدوا ان شيطانتهم العزى قد تقمصت جسد هذه المرأة ،ولربما تقمصت اجسادا قبلها ،لان ما قاله

---

(٤٧) معجم البلدان مادة العزى ،الاصنام ص ٢٥ .
(٤٨) راجع المنمق ،ص ١٢١ — ١٢٢ .

ابن الكلبي ،انها احدث من اللات ومناة [٤٩] ،ولا يعني ان بدء وجودها كان مع بدء حياة هذه المرأة • فاسم عبد العزى الذي تسموا به قبل مبعث النبي بعدة اجيال ،يدلنا على ان وجودها سبق وجود هذه المرأة ،اذا سلمنا بما قاله خالد من انه رآها وانه جزلها باثنين ،والا نفينا رؤيته للالهة ،وان ما جزل خالد كان امرأة تقوم على خدمة هذه الشيطانة [٥٠] التي عبدوا ،وهو الارجح • ولا يمكن لنا ان نبت في اصل العزى والشكل الذى كانت تتمثل به لاتباعها ،لان الادلة عندنا قليلة ،ولا يسعنا الا ان نعيد ما قال به الاقدمون ،وهو ان العرب اعتقدت بان العزى كانت شيطانة وانها كانت تتمثل لهم على شكل امرأة سوداء •

٨ — عم أنس : [٥١]

وقيل عميانس • هو صنم كان لخولان (١/ ٣٢٤) •

---

(٤٩) الاصنام ،ص ١٧

(٥٠) لمعرفة المزيد عن العزى يمكن الرجوع الى معجم البلدان مادة العزى ، مادة الغبغب ،والاصنام ،ص ١٧ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ،والسيرة م١ ، ص ٨٣ ، ٨٤ ،م ٢ ،ص ٤٣٦ — ٤٣٧ ،وللتلبية انظر المحبر ،ص ٣١١

(٥١) انظر معجم البلدان ،مادة عميانس •

٩ — فـــــراض :

صنم كان لسعد العشيرة (١/ ٣٤٢) وقيل ان اسمه فـــــرآض [٥٢] •

١٠ — الفُلْـــس :

صنم طيء ،قيل ان اسمه الفَلْس [٥٣] والفِلْس [٥٤] والفُلُـــس [٥٥] • كانت له خزانة للنذور والتقدمات • (٢/ ١٦٤)

١١ — ذو الكفـــين :

وكان صنما لعمرو بن حممة (٤/ ٢٣٩) وقيل انه كان للطفيـــل بن عمرو ،كان من خشب وقد احرقه الطفيل حين اسلم وقال :

ياذا الكفين لست من عبادك   ميلادنا اقدم من ميـــلادك

انا حششت النـــار في فؤادك [٥٦] •

---

(٥٢) انظر معجم البلدان ،مادة فراض

(٥٣) الاصنام ،ص ٥٩ ،والمحبر ،ص ٣١٦

(٥٤) السيرة م١ ،ص ٨٧

(٥٥) معجم البلدان مادة الفلس — لمعرفة المزيد عن الفلس ،انظر الاصنام ،ص ١٥، ٥٩ ، ٦١ — ٦٢ ،ومعجم البلدان مادة الفلس •

(٥٦) معجم البلدان مادة الكفين ،الاصنام ،ص ٣٧ ،السيرة م١ ،ص ٨١

١٢ - الـــــــــــــلات : (٥٧)

كانت لثقيف ،ومكانها بالطائف ،نعتها النبي بالطاغية فقـــــــد قال لرقيقة ،عندما ذهب للطائف ،لا تعبدى طاغيتهم ،ولا تصلي لهـــــــا (٨/ ٤٩٢) وعنى بقوله الطاغية اللات (٥٨) . وكانوا يدعونهـــــــا ايضا الربّة وقد سأل ابو مليح النبي ان يسمح له بقضاء دين ابيه مـــــن حلي الربة ،وعنى بذلك اللات (م ٥ / ص ٥٠٥) (٥٩) وكان سدنتهـــــا من ثقيف ،فقد ورد عن المغيرة بن شعبة ،وهو من ثقيف قوله : كنـــــا قوما من العرب متمسكين بديننا ونحن سدنة اللات (٤/ ٢٨٥) . وكانت لها مكانة كبيرة في نفوسهم حتى انهم استعفوا من هدمها عند اسلامهم (٦٠) ، (١/ ٣١٣) ،او ربما كان ذلك خوفا من انتقامها (٦١) لما في نفوسهـــم من بقية جاهلية ،فهم كانوا ينسبون اليها الانتقام ممن يسوءها كما ورد فـــي الكلام عن العزى . هذا وقد تسموا بها فكان : عبد اللات وتيم اللات وزيد اللات .

---

(٥٧) لمعرفة شكلها واصلها انظر الاصنام ص ١٦ - ١٧ ،ومعجم البلدان مادة اللات ،وابن حجر ،التفسير " افرأيتم اللات والعزى " ،وعن بيتها انظر المنمق ٧٣ ،والمحبر ص ٣١٥ ،ومعجم البلدان مادة اللات ،وللتلبية المحبر ص ٣١٢ .

(٥٨) السيرة م٢ ص ٥٤٠

(٥٩) السيرة م٢ ص ٥٤٢

(٦٠) السيرة م٢ ،ص ٥٤١

(٦١) السيرة م٢ ،ص ٥٧٤

١٣ — منـــــاف : (٦٢)

لم يرد عنه غير التسمية به فقيل عبد منـاف •

١٤ — منــــاة : (٦٣)

كانت بالمشلل للاوس والخزرج وغسان (٦٤) • تسمت العرب بهـــا فقالت : عبد مناة وزيد مناة • وكان لها سادن رآه سعد بن زيد الاشهلـي حين بعثه النبي لهدمها (٦٥) • وتقول رواية ابن سعد ،ولم يذكـــــر ذلك احد غيره ،ان مناة كانت امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس • وقـــــد ظهرت لسعد حين تقدم من الصنم وقال لها السادن : مناة دونك بعـــض غضباتك (٢/ ١٤٧) ،ويظهر ان الصنم كان قائما وان مناة ظهرت حين تقدم سعد من الصنم • وهذا يشير الى اعتقادهم ان الصنم كان مكان اقامة الربـــة ولم يكن الربة نفسها • وهناك تشابه بين قصة هدم العزى وهدم مناة • ولعل

---

(٦٢) انظر الاصنام ،ص ٣٢ ؛معجم البلدان ،مادة الغبغب ،ومادة مناف

(٦٣) الحج وحلق الروءوس عند مناة انظر الاصنام ،ص ١٤ ؛معجم البلدان مادة مناة ؛للتلبية المحبر ص ٣١٣ •

(٦٤) قال ابن الكلبي انها كانت ايضا لهذيل وخزاعة ،وكل العرب عظمتها انظر الاصنام ،ص ١٣ — ١٤ ،وقال ياقوت ان الازد وغسان حجت اليها انظر معجم البلدان ،مادة مناة •

(٦٥) قيل ان الذى ارسله النبي كان علي بن ابي طالب راجع الاصنام ص ١٤— ١٥ ؛السيرة م١ ،ص ٨٥ — ٨٦ ؛معجم البلدان مادة مناة •وقال ابن هشام ان النبي ارسل ابا سفيان بن حرب انظر السيرة م١ ،ص ٨٦ •

هذه المرأة التي ذكر سعد انه قتلها كانت في خدمة مناة كما ذكـــــرنا في معرض الكلام عن العزى • وكانت لها خزانة توضع فيها التقدمات (٢/ ١٤٧) •

١٥ - نائلــــــة :

(انظـــــر : اســـاف)

١٦ - هُبَـــــل : (٦٦)

من اصنام قريش ، وهو اعظمها وكان وجاه الكعبة (٢/ ١٣٦) • وقال ابن الكلبي وابن اسحاق انه كان في جوف الكعبة (٦٧) • وتذكـر روايـــة ابن سعد ان عبد المطلب دخل جوف الكعبة ليضرب بالقداح (١/ ٨٩) ويسوق ابن اسحاق الرواية نفسها الا انه يضيف ان عبد المطلب كان قائمـــا آنذاك عند هبل (٦٨) • فاذا كان ما عناه ابن سعد في قوله انه دخل جوف الكعبـــة

---

(٦٦) لمعرفة المزيد عن هبل ، عن شكله والمادة التي صنع منها يمكن الرجوع الى معجم البلدان مادة هبل ، والاصنام ص ٢٧ - ٢٨ ، والسيرة م١ ، ص ٧٧ ، ٨٢ ، وللتلبية ، المحبر ص ٣١٥ •

(٦٧) الاصنام ص ٢٧ ، والسيرة م١ ، ص ٨٢ •

(٦٨) السيرة م١ ، ص ١٥٤ •

واستقسم له السادن ،ان ذلك كان عند هبل ،اصبح موقع هبل داخـــل الكعبة وهذا يتفق مع رواية ابن الكلبي وياقوت ،وهو يناقض ما ذكــره ابن سعد من ان هبل كان في مواجهة الكعبة ،اي في خارجها • ولعلـه كان هنالك صنمان لهبل ،احدهما في جوف الكعبة والاخر خارجها ،فكان الثاني هو الذي اشار اليه النبي بقضيب في يده فوقع لوجهه (٢/ ١٣٦) •

وقد دعي هبل بصنم خزيمة لان خزيمة بن مدركة هو الذي وضعه (١/ ٦٩) وهذا ما يقول به ايضا ابن الكلبي وياقوت [٦٩] ،اما ابن اسحاق فيذكر ان عمـرو بن لحي [٧٠] هو الذي نصبه بعد ان قدم به مكة من الشام • وكانت له مكانـة كبيرة عند قريش ،لا تقل عن مكانة العزى ،حتى انهم نادوا باسميهما في معركـة احد فقالوا : يا للعزى ! يا لهبل ! (٢/ ٤٢) ويبدو ان هبل كان يتمتـع بمركز يختلف عن مركز العزى فان ابا سفيان ارتجز في موقعة احد وقال : اعـل هبل (٢/ ٤٧) وفسر قوله على انه يعني اظهر دينك ،وفسـر على انـه اي هبل ،اعلى من كل شيء [٧١] ويتفق القول مع ما ذكره ابن سعد من انـه

---

(٦٩) الاصنام ،ص ٢٨ ؛معجم البلدان مادة هبل •

(٧٠) يقول ابن حبيب انه عمرو بن ربيعة ،المنمق ص ٣٠٣ — ٣٠٤ ،وقيـل ان ربيعة هو لحي انظر المنمق ص ٣٠٢ الحاشية ؛الاصنام ،ص ٨ ،ص ٥٤ •

(٧١) ابن حجر ،كتاب المغازي ،غزوة احد ،الحاشية •

كان اعظم اصنامهم (٢/ ١٣٦) اي انه ارفع مكانة من العزى • ولكـــن شعارهم يا للعزى ،يالهبل ،يدلنا على ان لكل منهما مكانة لا تقل عن الاخـرى مـــــن حيث الاستجارة بهما او التشفع لديهما • ولعل العزى كانت ترمز للقوة او السطوة ، فكونها شيطانة جعلها تتمتع بقوة خارقة تعينهم في حربهم ضد المسلمين •

١٧ — ود : (٧٢)

لم يذكـــر ابن سعد عنه شيئا سوى انهـم تسموا به فقالوا عبد ود •

١٨ — يغـــوث : (٧٣)

لم يرد عنه في الطبقات سوى التسمية باسمه فقالوا عبد يغوث •

هذه الاصنام التي اتى ابن سعد على ذكرها لا تشمل اصنام العرب جميعها ،فقد ذكر ابن الكلبي كثيرا غيرها في اصنامه ،وابن حبيب في منمقه ومحبره ، وياقوت في معجمه ،وابن هشام في السيرة ،كما نجد ذكرا للاصنام في اللســـان

---

(٧٢) لمعرفة المزيد عن ود يمكن الرجوع الى معجم البلدان ،مادة ود ،والاصنام ص ١٠ ، ٥٥ ، ٥٦ ،والسيرة م١ ،ص ٧٨ ،والمنمق ص ٤٠٥ ، ٤٠٦ ،والمحبر ص ٣١٢ ، ٣١٦ •

(٧٣) لمعرفة المزيد عن يغوث انظر المنمق ص ٤٠٥ ، ٤٠٦ ،والمحبر ص ٣١٤ ، ٣١٧، معجم البلدان مادة يغوث ،والاصنام ص ١٠ ،والسيرة م١ ، ص ٧٩ •

وتاج العروس وغيرها من المصادر القديمة • ولم يعمد ابن سعد الى انتقاء الاصنام انتقاء ،ولكنه فعل ما فعل لان سياق كتابه تطلب ذكر بعضها فهو في ترجمته للنبي والصحابة والتابعين اتى على ذكر بعضها واغفل البعض الآخر وتجاهل شعائر لتلك التي ذكرها ،وذلك لانه لم يكن يتطلبها سياق كتابه • كذلك نراه يذكر صنما اغفلته المصادر الاخرى ،وهو صنم بوانة ،ولم يكتف بذكره بل ساق لنا الشعيرة التي كانت تقام في احتفال له ،لان ما حدث اثناء تأدية تلك الشعيرة تضمن بشرى بخروج النبي • وكثيرا ما ذكر عن هدم اصنام دون ذكر اسمائها ،وكل ما عناه هو اسم الذي تكفل بالخلاص من الصنم وهدم حماه فهذا زياد بن لبيد يكسر اصنام بني بياضه ومعه وفرة بن عمرو (٣/ ٥٨٠) ،وقد استوجب خبر زياد ذكر هذا الامر لما فيه من دلالة على حسن اسلامه وتخلصه من وثنية الجاهلية وابتعاده عنها • وهذا ثعلبة بن عنمة ومعه معاذ بن جبل وعبد الله بن أنيس ،يتكفل جميعهم بأصنام بني سلمة فيدكونها (٣/ ٥٨٠) ،وسليط بن قيس وابو صرمة يكسران اصنام بني عديِ بن النجار (٣/ ٥١٢) والامثلة على ذلك كثيرة •

ومهما بلغ عدد الاصنام التي وجدت عند العرب فانها لم تبلغ العدد الذي قيل انه وجد حول الكعبة عند الفتح وهو ثلاثمائة وستون صنما

(١٣٦/٢) ولئن افترضنا ان هذا العدد مبالغ فيه فانه يوحـــي بالكثرة ويدل عليها • ولو جمعنا كل اسماء الاصنام التي ذكرتها المصادر الـــتي بين ايدينا لوجدنا انها لا تبلغ عددا يقارب نصف العدد المذكـــــور او ربعه • وقد نعزو ذلك الى احد امرين اولهما ان هنالك مصادر اخرى تكلمت عن الاصنام ولم تصلنا ،ولا نعرف بوجودها لانه لم يجر لها ذكـــر ولم يأخذ عنها احد وهذا احتمال بعيد • وثانيهما ، وهو الاحتمـــال الاقرب ،انه كانت لكل صنم صور متعددة وضعت في اماكن مختلفة ،فقد مـــر ما يشير الى ان الصنم كان مستقرا للاله ولم يكن الاله نفسه ، ومما يؤيـــد ذلك هو ما قالته المصادر الاخرى حول اللات واغفله ابن سعد فاللات ،كمـــا ذكر ،كانت صخرة يلت عليها السويق ،حتى اذا مات اللات قيل للاعراب انـــه دخل الصخرة ،فقدست واصبح لها حمى (٧٤) •

واذا كان الامر كذلك ،فليس بمستبعد اذن ان تكثر هذه الاصنام وتوضع في اماكن مختلفة لتكون منازل ترتادها الالهة • من هنـــــا

---

(٧٤) انظر معجم البلدان ،مادة اللات ،ابن حجر ،التفسير " افرأيتم اللات والعزى "

كان اهل المدر يحتفظون باصنام في بيوتهم (٢/ ١٣٧ ، ٢٢٧) (٧/ ٣٩١) ، وكذلك كان يفعل البدوي الا انه كان يلتقط حجرا ، اذا استحسنه ، ويضعه رمزا لربه او سكنا لالهه (٤/ ٢١٧) حتى اذا وجد احسن منه شكلا رمى بالقديم ارضا واستبد له بالجديد • فلو كان يعتقد ان الحجر هو الاله ، لا حتفظ به ولم يرمه و لكنه باستبداله حجرا بحجر احسن منه يكون قد وفر لربه منزلا افضل •

واذا قبلنا بهذه النظرية ، استطعنا تفسير الخلاف في الروايات حول مواضع بعض الاصنام • فهنالك رواية تقول ان هبل كان في جوف الكعبة واخرى تقول وجاه الكعبة [٧٥] • وكذلك اساف ونائلة ، قيل انهما كانا في ساحة البيت قرب الكعبة ، وقيل انهما كانا بين الصفا والمروة [٧٦] • ولعل الروايات صحيحة على اختلافها ، اي انه كان هنالك صنم لهبل داخل الكعبة وآخر خارجها ، وصنمان لاساف ونائلة في الصفا والمروة ، وآخران حول البيت قرب زمزم • ومما يرجح القول بتعدد الصور للصنم الواحد ما ذكر عند الفتح ، فقد ورد ان العزى ومناة وسواع وبوانة وذا الكفين كانت جميعها بين تلك التي

---

(٧٥) راجع ما كتب عن هبل •

(٧٦) راجع ما كتب عن اساف •

وجدت حول الكعبة وامر النبي بكسرها (٢/ ١٣٧) (٣/ ٣٨٠) والمعروف ان لكل صنم من هذه الخمسة المذكورة حمى في مكان معين آخر ،فالعزى كان حماها بنخلة (٢/ ١٤٦) وكان لها صنم عند ثقيف بالطائف (١/ ٣١٣) ومناة في المشلل (٢/ ١٤٧) وسواع في ارض هذيل (٢/ ١٤٦) وبوانة في هضبة بوانة (١/ ١٥٨) وذو الكفين في ارض دوس (٤/ ٢٣٩) فكيف يمكن تأويل اجتماعها مع العديد غيرها حول الكعبة حين الفتح ؟ التفسير الوحيد هو تعدد الصور للصنم الواحد ،او اتخاذ منازل مختلفة للصنم .
وكما قلنا احتفظت العرب باصنام في بيوتها تيمنا وبركة فليس بغريب أن يضعوا اصناما اخرى حول الكعبة تقربا وزلفى ،او تعبيرا عن شكرهم لرب البيت .
وقد درجت العادة في اليمن ،كما اثبتت النقوش ،ان يتقدم احدهم بتقدمة الى الاله تعبيرا عن شكره لمساعدته اياه ونصرته ،نذكر على سبيل المثال النقش (Jamme 635) او وفاء لنذر كما في النقش (Jamme 660)
وفي كلا الحالين كان الصنم ضمن التقدمات التي وضعت في حمى الاله . وكان الاتصال بين اليمن والحجاز معروفا ،فليس ببعيد ان يتراكم في حمى الكعبة اصنام كثيرة كان بعضها مما قدم تقربا من الله ،رب البيت ،وبعضها وفاء لنذر وتعبيرا عن شكر ،وتكون صورا متعددة لاله من آلهتهم .

الفصـــــل الثـــاني

الشعـائر والمعتقدات والتقاليـــد الدينية الوثنية ٠

تقدم القول في الفصل السابق ان العرب عرفت الله وتقربت اليه من خلال الاوثان والاصنام التي كانت بمثابة شفعاء ووسطاء لهم عنده ،وان هذه الاصنام استأثرت بالعديد من الشعائر واصبحت مدار الكثير من العبادات ، ومن هذه الشعائر الحج والوفاء بالنذور والاستقسام بالازلام والذبح والهدي ، ومن المعتقدات ،التي سيطرت على تفكيرهم ،الاعتقاد بالجن وبالشياطين والتصديق بالرؤيا ،ومن تقاليدهم الدينية غسل الميت قبل دفنه والزواج بعدد غير محدود من النساء والطلاق الابدي والاحتفال ببلوغ الصبية والفتيات ٠ ولما كان الحـــج هو من اهم الشعائر فأني سأفرد له بابا خاصا به ،واقتصر حديثي في هـــــذا المقام على الشعـــــائر الاخـــــرى ٠

١ ـ النـــذور والايمــــــان :

النذور هي نوع من التقرب للاله ،والوفاء بها هو شكر للالـــه على ما أنعمه على عبده ٠ وكانت العرب تنذر بتقديم القرابين ٠ لذلك عندما قال ابـــو ميمونة بنت كردم للنبي انه نذر ان ينحر ببوانة سأله ان كانت وثنا او طافيـــة

تعبد ،وفي رواية اخرى ان النبي سأله : هل عليها من هذه الاوثان شيء ؟ قال لا • قال فأوف لله بما نذرت له [1] (٨/ ٣٠٤) وذلك لان العرب درجت على الوفاء بنذورها بالذبح للوثن على بوانة ، فاراد النبي ان يتأكد من خلو المكان من الاوثان ،ومن بعد المسلمين عن شعائر الوثنية • وقد ورد في موضع آخر ان كردم بن سفيان سأل النبي الاذن في نحر ابعرة ببوانة فقال له النبي : نذرت وفي نفسك شيء من الجاهلية ؟ قال : لا والله يارسول الله • قال فانطلق فانحرها • (٥/ ٥١٠) ومن نذور الجاهلية نذر عبد المطلب حين كان يحفر زمزم فقد كان يحفر بالمعول ويغرف بالمسحاة في المكتل فيحمله ابنه الحارث فيلقيه خارجا • ولم يكن معه احد يعينه الا ابنه الحارث ،وتقاعست قريش عن مد يد العون له ، فنذر لئن بلغ اولاده العشرة ليذبحن احدهم لله قربانا [2] (١/ ٨٣ — ٨٤) • ومن النذور ما كان عهدا يقطعه الانسان على نفسه بأن ينقطع عن الطعام او الشراب او حتى عن الكلام [3] حتى يتم له ما يريد • من ذلك ما فعلته ام عامر بن ابي وقاص ، حين بلغها نبأ اسلام ابنها عامر ،فقد نذرت لله الا يظلها ظل ولا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا حتى يدع عامر الصباوة (٤/ ١٢٤) •

---

(١) معجم البلدان ،مادة بوانة •

(٢) السيرة م١ ،ص ١٥١ — ١٥٢ •

(٣) ابن حجر ،الجزء الثامن ص ١٤٩ الحاشية •

وفي هذين المثالين اللذين اوردهما ابن سعد عن نذور الجاهلية ، كان نذر عبد المطلب لله ،وكان عهد ام عامر ونذرها لله ،ولم يكن لصنم من الاصنام • ولا نستطيع القول بأن النذور كانت جميعها لله رب الكعبة ولكن بوسعنا الجزم بأن بعضها كان له عز وجل دون غيره من آلهة العرب •

وكانوا يقسمون بآلهتهم (٤) ،كقسم ابي لهب في حديثه مع النبي حين اراد حمايته بعد موت ابي طالب : " لا واللات لا يوصل اليك حتى اموت " (١/ ٢١١) • ومنه ما حلف به قبل وقعة بدر ، " واللات والعزى لا اخرج ولا ابعث احدا " (٨/ ٤٤) • ومنهم من اقسم بالنجوم كأم مصعب بن عمير ،فقد قالت حين عرض عليها ابنها مصعب الاسلام : " والثواقب لا ادخل في دينك " (٣/ ١١٩) • ومنهم من اقسم برب الكعبة (٣/ ٤١) •

٢ — الأزلام :

كان العرب يستقسمون بالازلام اذا كان لهم امر يريدونه ولا يدرون ما الامر فيه ،وكانوا يلجأون اليها في النكاح والسفر والانتساب والميسر وغير ذلك ،

---

(٤) يبدو من كلام ابن حبيب ان القسم اذا تم امام صنم اتخذ صبغة اقوى • فهذا العاص بن وائل تحلف عند اساف حين تولى حمل اللواء ،فحلف عنده ، اي عند الصنم ،الا يفر او يموت • انظر المنمق ص ١٣١ •

وكانوا يجيلون القداح ويطلبون من السادن ان يسحب القدح ويرضون بما يخرج . من ذلك ما فعله عبد المطلب حين اراد الوفاء بنذره . فعندما بلغ ابناؤه العشرة وجب عليه ان يضحي باحدهم وفاء للنذر ،فقال لابنائه ،" ليكتب كـــل منكم اسمه في قدحه " ففعلوا ،فدخل عبد المطلب في جوف الكعبة وقال للسادن: " اضرب بقداحهم " . فخرج قدح عبد الله ،فرضي بالامر (١/ ٨٩) ويقـــول ابن هشام ان عبد المطلب دخل على هبل في جوف الكعبة لسحب القداح (٥) . لان القداح كانت عند هبل .

وكانت القداح تستعمل لمعرفة الانصباء ،فعندما حفر عبد المطلب زمزم واستخرج غزالا وسيوفا قلعية ،ضرب عليها بالقداح فخرجت للكعبة فجعل صفائح الذهب على بابها (٦) (١/ ٨٠) ويفصل ابن هشام في الروايـــة

---

(٥) السيرة م١ ،ص ١٥٢ ، ١٥٤ ،لمعرفة المزيد عن الاستقسام بالازلام انظر الاصنام ،ص ٢٨ ،ص ٤٧ ،معجم البلدان ،مادة هبل ،مادة الخلصة ، المحبر ،ص ٣٣٢ — ٣٣٥ .

(٦) السيرة م١ ،ص ١٤٦ ،انظر المنمق لاختلاف عدد القداح والوانها ص ٤١٥ — ٤١٦ .

فيقول ان قريشا ارادت نصيبا مما وجد عبد المطلب ،فاتفقوا ان يحكموا القداح ،فجعلوا قدحين اصفرين للكعبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين ابيضين لقريش . ثم اعطوا القداح صاحب القداح الذي يضرب عند هبل .

ولم يكونوا جميعا مستعدين لقبول ما يخرج لهم من امر عند ضرب القداح ،فيجيلونها ثانية وثالثة ،فمنهم من رضي بالحكم ومنهم من تحداه . (٧) فاما عبد المطلب ،فقد رضي اول الامر بذبح ابنه عبد الله ، ثم عندما ثارت اخواته وقالت احداهن ،اعذر فيه بأن تضرب في ابلك السوائم التي في الحرم ،قال للسادن اضرب عليه بالقداح وعلى عشر من الابل ... واخذ يزيد حتى بلغت المائة ،فنحرها (١/ ٨٩) ورضي بالامر . في حين ان سراقة بن مالك ،رفض حكم الازلام ،فقد استقسم ايخرج في طلب النبي ام لا يخرج ،فكان يخرج له الا يخرج ثلاثا ،فتحدى الحكم وركب ليلحق بالنبي (١/ ١٨٨) .

---

(٧) انظر قصة ابي مسكين مع ذي الخلصة في الاصنام ،ص ٤٧ ،وينسب ياقوت القصة الى امرئ القيس ،معجم البلدان مادة الخلصة ،وأما ابن هشام فيقول انه رجل من العرب ولم يسمه ،السيرة م١ ،ص ٨٦ .

ويبدو ان الاستقسام بالازلام امر يعود الى زمن يسبق ايام النبي بامد طويل ،فقد روى ابن سعد ان الكعبة حوت صورا محاها عمر بن الخطاب زمـــن الفتح (١٤٢/٢) ولكنه لم يبين ماهية هذه الصور ،ولكن ابن هشام يقـــول ان احدى هذه الصور كانت تبين ابراهيم عليه السلام وفي يده الازلام يستقســـم بها ،فقال النبي : قاتلهم الله ،جعلوا شيخنا يستقسم بالازلام ،ما شأن ابراهيم والازلام [٨] في حين ان ابن حجر يقول ان الصورة تبين ابراهيم واسماعيـــــل وفي ايديهما الازلام [٩] • ورواية ابن حجر وابن هشام تدل على ان الاستسقام امر نسبته العرب الى ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ،ومن هنا اتخذ صبغتـــه الدينيـــــة •

وكانت القداح تنحت في حجرة زمزم [١٠] (٧٣/٤) وتحفظ لدى سادن الوثن لحين الحاجة • والاستقسام نوع من الاستشارة الغيبية او هـــو تنبوء بما سيحدث ان اقدم احدهم على عمل معين •

---

(٨) السيرة م٢ ،ص ٤١٣ •
(٩) ابن حجر ،المغازي ـ غزوة الفتح اول رمضان •
(١٠) السيرة م١ ،ص ٦٤٧ •

٣ — <u>التقدمات والنحــر والقرابين والهدي :</u>

كانت العرب تتقرب للاصنام بتقدمات شتى كأن تهدي لها هدايـــا توضع في خزائنها ،او تنحر لها القرابين او تقدم لها الهدي من الابـــل يسرح في حماها • والتقدمات هذه كانت اما وفاء لنذر ،واما طلبا للحمايـــة ودرءا للشر ،واما جزءا من شعيرة تقام في زمن معين لاله معين •

ومن التقدمات العينية التي كانت تحفظ في خزانة الاله او الالهـــة عتاد حربي كالادراع وكالسيوف التي وجدت في خزانة الفلس ،وهي رسوب والمخذم واليماني ، وقد وجدت جميعها في خزانة الاله عند هدمه [11] (٢/ ١٦٤) ، ومنها الحلي كالتي كانت تقدم للات [12] ،وقد سمح النبي لابي مليح بـــن عروة [13] ،وكان من ثقيف ،أن يقضي منها دينا كان على ابيه وقد بلـــغ مائتي مثقال ذهبا (٥٠٠ /٥٠) ومن التقدمات ما كان في ارض الكعبة [14]

---

(١١) راجع معجم البلدان ،مادة الفلس ،والسيرة م١ ،ص ٨٧ ،والاصنام ص ٦١— ٦٢ •

(١٢) السيرة م٢ ،ص ٥٤٢ ،ولتقدمات ذي الخلصة انظر ابن حجر ،كتاب المغازي ، الحاشية •

(١٣) السيرة م٢ ،ص ٥٤٢ •

(١٤) يقول ابن اسحاق وياقوت ان تقدمات الكعبة كانت توضع في بئر في داخلها انظر معجم البلدان مادة الكعبة والسيرة م١ ،ص ١٩٣ •

وقد سرق منها حلية وغزال من ذهب كان عليه در وجوهر (١/ ١٤٥) ولعلها كانت مقدمة لله رب البيت او لعلها قدمت لهبل الذى قيل انه كان منصوبا في الكعبة .

اما القرابين فقد كانت تقدم للاصنام فتنحر على مناحرها وكان لبعضها منحر خاص [١٥] كالذي كان لاساف ونائلة والى ذلك المنحر ساق عبد المطلب ابنه ليذبحه كما يقول ابن اسحاق [١٦] . ومما يؤكد هذا القول ،ان عبد المطلب حين اتي في المنام وأمر بحفر زمزم قيل له : " ... هي بين الفرث والدم ،عند نقرة الغراب الاعصم " وكان غراب أعصم لا يبرح عند الذبائح مكان الفرث والدم (١/ ٨٣) ،ويقول ابن اسحاق ان قريشا قامت لعبد المطلب وقالت : والله لا نتركك تحفر بين وثنينا هذين اللذين ننحر عندهما [١٧] ، فكان الموضع بين الفرث والدم هو عند الصنمين اساف ونائلة [١٨] .

---

(١٥) انظر اللسان مادة غبغب .
(١٦) السيرة م١ ،ص ١٥٣ — ١٥٤ .
(١٧) السيرة ،م١ ،ص ١٤٦ ،يقول ابن حبيب انه موضع نصب خزاعة انظر المنمق ص ٤١٥ .
(١٨) السيرة م١ ،ص ١١٠ — ١١١؛ معجم البلدان مادة زمزم واساف ،الاصنام ، ص ٢٩ .

والاصنام التي كانت تنحر عندها العرب بوانة ــ فقد كانت قريش تنسك له النسائك [١٩] (١/ ١٥٨ / ١٦١) ــ وسواع (١/ ١٦٧) وغيرها • وكـــان النحر لبوانة يتم وفاء لنذر ،لذلك سأل النبي كردم ان كان قد نذر وفـــي نفسه شيء من امر الجاهلية (٥/ ١٥٥) او كان جزءا من شعيرة تقام في يوم معين في السنة (١/ ١٥٨) وما ذكره ابن سعد عن بوانة ينطبـق علـــى بقية الاصنام وان لم يأت على ذكره ولكن مصادر اخرى ذكرت ذلك • [٢٠] ولكنه يذكر ان نساء مكة احتفلن في عيد كان لهن في رجب فلم يتركن شيئا من اكبـار ذلك العيد الا أتينه (٨/ ١٥) ،والمعروف ان الرجبية هي الذبيحة في رجـب ، فلعل هذا العيد الذى ذكره ابن سعد وقال عنه ان النساء فيه لم يتركـــن شيئا من اكباره الا أتينه ،هو من الاعياد التي كان يتم فيها الترجيب والنحر [٢١] •

---

(١٩) وهي الذبائح انظر اللسان مادة نسك •

(٢٠) السيرة م١ ،ص ٢٢٢ ،واللسان مادة رجب ،الاصنام ،ص ١٣ ، ١٨ ، ١٩ ، ٥٩

(٢١) اللسان مادة رجـب •

وكانوا ينحرون لاصنامهم اذا ما شعروا ان آلهتهم غضبى ،وتكـــون علامة غضبها تغيرا في العوامل الطبيعية ،من ذلك ما حـدث عندما ظهرت لهـم النيازك التي تتساقط والتي قيل انها كواكب رميت بها الجن ،ففزعوا ،وكان أولهم اهل الطائف فجعلوا يذبحون لآلهتهم من كان له ابل او غنم لاسترضائها(١/ ١٦٧) .

وكان الذبح يتم على الصنم كما يقول ابن سعد (١/ ١٥٨ / ١٦٧) واعتقد ان ابن سعد عنى بذلك تلطيخ الصنم او النصب بالدماء وهو ما كـــان متبعا آنذاك لما فيه من تلامس بين الصنم والقربان [٢٢] ،وفي تماس الدم تثبيت للعهد الذى يربط الانسان بالهه ، وتوثيق للروابط بينهما . لذلك عنـــدما اراد الاحلاف ان يثبتوا حلفهم ويضفوا عليه صفة القدسية غمسوا ايديهم في جفنـــة تحوي دما ولعقوا اصابعهم حتى سموا بلعقة الدم (١/ ٧٧) .

ولم تكن القرابين تقتصر على حيوان دون آخر من الحيوانات الاليفة التي يأكلون من لحومها . فقد ذكر ان بني غفار قربوا عجلا لبعض اصنامهم (١/ ١٥٨) ، والهذليين قدموا لسواع بقرة سمينة (١/ ١٦٧) . في حين ان فريقا من النهديين

---

(٢٢) انظر سميث ص ٢٠٥ .

نحروا لصنمهم جزرا (٧/ ٩٧) . من هنا يظهر ان القرابين كانت من الحيوانات التي يعنون بتربيتها ، لا من تلك التي كانوا يصطادونها كالغزلان وبقر الوحش . وكانت الانصاب ، وهي حجارة منصوبة ، يعترون عندها [٢٣] ومنها ما كان حول الكعبة تنصب فيهل عليها ويذبح لغير الله تعالى [٢٤] ، وكانوا يأكلون من لحوم القرابين التي كانوا يذبحونها لآلهتهم ، لذلك ناشد خبيب موهبا ان يجنبه ما ذبح على النصب (٢/ ٥٦) ورفض زيد بن عمرو بن نفيل سفرة النبي ، قبل مبعثه ، وقال : اني لا آكل مما تذبحون على انصابكم ولا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه ، (٣/ ٣٨٠) (دلالة على ان الذبائح كانت تهدى للاصنام) .

ولم يعرف عن الجاهليين حرق القرابين للالهة ، وكل ما ذكر عنها كان عن طريق النحر والذبح . كما لم يبلغ عن تقديم القرابين البشرية ، وكل ما ذكر حول هذا النوع من التقدمات كان نذر عبد المطلب يذبح احد ابنائه اذا ما بلغوا عشرة . وعندما فداه وخرجت القداح على مائة

---

(٢٣) الاصنام ، ص ٤٢ .

(٢٤) اللسان مادة نصب .

من الابل ، كبر عبد المطلب وكبر الناس من حوله ، ولعل ذلك يعود الى ان تقديم الضحايا البشرية لم يكن امرا مألوفا . وعندما تم نحر الابل ،خلى عبد المطلب بينها وبين كل من وردها من انسي او سبع او طائر ،ولم يأكل منها هو ولا احد من ولده شيئا (١/ ٨٩) وذلك لان نذره كان لله رب البيت وما حوله . فجعل للحيوان والطير نصيبا كنصيب الانسان . ومن التزلف للآلهة والتقرب اليها ،كما ذكرنا ،الهدي ويقول ابن منظور ان الهدي كان ما اهدي الى مكة من النعم [(٢٥)] . وعندما توجه النبي مع صحبه سنة ست للهجرة لقضاء العمرة ،توقف في الحديبية وارسلت له قريش سيد الاحابيش ، وكان يتأله ،فنظر الى الهدي نعرفها لما عليها من القلائد التي اكلت اوبارها فرجع الى قريش لساعته (٢/ ٩٦) . وكان هدي النبي وصحبه لتنحر في مكة . اما عبد المطلب فلم ينحر هديه لرب البيت حين استرد ابله من ابرهه . بل سرحها وبثها في حرم الكعبة لتكون ملكا لله حامي الحمى ،(١/ ٩٢) فان اصابها احد بسوء استوجب نقمة الاله اي انه اذا ما هجم ابرهة على الكعبة اصاب الهدي فيغضب رب الحرم وينتقم منه بان يرسل عليه انواع العذاب ويصده عن البيت.

---

(٢٥) اللسان مادة هـدي .

ويبدو ان صاحب الهدي كان يحق له ان ينحر هديه قربانا • فقد ورد في كلام احدى بنات عبد المطلب لابيها حين اراد ذبح عبد الله : أعـــذر فيه بأن تضرب في ابلك السوائم التي في الحرم (١/ ٨٩) فان كانـــت هي الابل نفسها التي كان قد سرحها حين استردها من ابرهة ،يكـــون من حق صاحب الهدي ان ينحرها ويقدمها قربانا أنى شاء •

وكانت الطريقة المتبعة في الهدي ،ان يتم اولا انتقاء البدن لتكون هديا ،ثم تقلد بالنعال وتشعر في شق واحد • وكان النبي قد أشعـــر هديه في الشق الايمن (٢/ ٩٥) • ولو لم يتبع النبي في هديه ما كـــان متبعا في الجاهلية عند العرب ،لما عرفها سيد الاحابيش حين وقـــع نـــظره عليهـــا (٢٦) •

٢ — بعض المعتقدات العامـــة :

١ — الجـــــن :

الجن قوة غيبية خافتها العرب ،وقدمت لها ضروب الولاء ،واعتقدت انها

---

(٢٦) لمعرفة امر البحيرة والسائبة والحام انظر المحبر ص ٣٣٠ — ٣٣١ ،والمنمق ص ٣٥٤ •

تخرج في الظلام وتمارس قوتها السحرية ضد كل من يتعرض لها بأذى [٢٧] ، لذلك كانوا اذا ما أمسوا في مكان منقطع استعاذوا بعزيز ذلك المكان من الجن خوفا منه وطلبا لحمايته [٢٨] ،كما فعل ابو رجاء العطاردي وصحبه (٧/ ١٣٨ ــ ١٣٩) ،فعزيز الوادي الذي استجار به العطاردي هو رب الوادي الذي يحمي أرضه من كل معتد ،لان من تعدى على حماه استوجب العقاب ،وهي العقلية العربية نفسها التي دعت عبد المطلب لان يقف امام الكعبة حين اراد ابرهة غزو الكعبة ويقول :

لا هم ان المرء يمـــنع رحله فامنع حلالك	
ان كنت تاركهم وقبـــلتنا فامر ما بدالك (١/ ٩٢)	

وهذا يعود بنا ثانية الى معتقد العرب حول آلالهة ،لقد اعتقدوا ان لكل اله دائرة يمارس ضمنها سلطته ،فلم تكن آلهتهم موجودة في كل مكان [٢٩] ،

---

(٢٧) قصة بني سهم وقتل الحيات ــ انظر المنمق ص ١٢١ ــ ١٢٢
(٢٨) السيرة م ١ ،ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦
(٢٩) سميث ص ١١٤ .

وقصر تفكيرهم عن شمولية المقدرة الربانية ،فالله في الكعبة وما حولها ولكل وثن حمى • والمسافر الذي يبتعد عن حماه لا تبلغه رعاية الهه ،لذلك عليه ان يلجأ الى رب ذلك المكان •

وقد بلغ من اهتمام العرب بالجن ان قال ابن الكلبي ان بني مليح من خزاعة عبدوا الجن [(٣٠)] وربما لم يكن الامر كذلك ،وانما هو خوف من قوة غامضة اعتقدوا انها تملك القوة على الانتقام • وقد جاء في التنزيل : " وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا " [(٣١)] (٧/ ١٣٩) ،وقال ابو رجاء العطاردي انها ربما نزلت فيه وفي اصحابه •

٢ - العيافة والطرق والطيرة :

كانت العرب تعيف الطير اي تزجرها ،وزجر الطير هو الاعتبار باسمائها ومساقطها وأصواتها فيتفاءلون بذلك او يتشاءمون وقيل ان بني أسد

---

(٣٠) الاصنام ص ٣٤
(٣١) سورة الجن / آية ٦

كانوا يذكرون بالعيافة ويوصفون بها • وقد جاء في الحديث الشريف : " العيافة والطيرة والطرق من الجبت " [٣٢] وقد ورد هذا الحديث عند ابن سعـــــد بصورة تختلف قليلا فقال : عن ابن قبيصة عن ابيه انه قال : سمعت رســـول الله ،صلعم ،يقول : ان العناقة والطرق والطيرة من الجبت (٧/ ٣٥) ولكـن صاحب اللسان اورده كما في صيغة ابي داود [٣٣] • واغلب الظن ان كلمـــة العناقة كما وردت في الطبقات مصحفة ،لانه ليس هنالك من علاقة بين العناقـــة والطيرة والطرق ،في حين ان الطيرة تتعلق بالعيافة ،فقد كان من شأن العـــرب عيافة الطير وزجرها ثم التطير ببارحها ونعيق غرابها واخذها ذات اليســـــار اذا أثاروها [٣٤] •

اما الطرق ،وهو ايضا نوع من الاستشارة الغيبية ،فقد اختلفت فيه الاقوال ،فمن قائل ان الرجل يخط في الارض باصبعين ،ثم باصبع ويقـــول :

---

(٣٢) سنن ابي داود ،حققه وعلق عليه محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ،مصر ،الطبعة الثانية ،١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م ،كتاب الطب ــ ٢٣ •

(٣٣) انظر اللسان مادة جبت ،مادة عيف ،مادة طرق •

(٣٤) اللسان مادة طـير •

ابني عيان [٣٥]، أسرعا البيان . وقيل ان يخلط الكاهن القطن بالصوف ، ويتكهن ،وقيل انه الضرب بالحصى الذي تفعله النساء [٣٦] . والاختلاف في الطرق دليل على ان هذه الوسائل الثلاث استعملت عند العرب ،ولربما لجأت كل فئة الى وسيلة تستطلع بها الغيب وتستشير قبل الاقدام على عمل معين ،مثلها كمثل الزجر ،فتتطير من عمل وتتفاءل بآخر .

٣ — الـرؤيـا :

وهي ايضا نوع من كشف الغيب ،لذلك كانوا يسمون الرؤيا تنبوءا ،فعندما تحدث الناس برؤيا عاتكة ،قال ابو جهل : " يابني عبد المطلب اما رضيتم ان تنبأ رجالكم حتى تنبأ نساؤكم ؟ زعمت عاتكة انها رأت في المنام كذا وكذا ،فسنتربص بكم ثلاثا فان يكن ما قالت حقا والا كتبنا عليكم انكم اكذب اهل بيت في العرب " (٨/ ٤٤) . وكانت عاتكة قد رأت رؤيا أفزعتها واشفقت منها . ويقول صاحب السيرة ان ابا جهل قال : " يابني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية " [٣٧] . وقد اعتقدوا بالرؤيا وصدقوها ،لذلك/عندما قدم ضمضم

---

(٣٥) وقيل هما طائران والخطان يرسمان لزجر الطير ،اللسان مادة عين .

(٣٦) اللسان مادة طرق .

(٣٧) السيرة م١ ،ص ٦٠٨ ،المنمق ص ٤١٩ — ٤٢٠

ابن عمرو يستنفر قريشا للخروج قبل موقعة بدر رفض ابو لهب وقال : " واللات والعزى لا اخرج ولا ابعث احدا " ،وما منعه الا اشفاقا من رؤيا عاتكة (٨/ ٤٤) . وقد اعتقدوا ان الرؤيا الصحيحة من الله ،لذلك وصف ابو جهل عاتكة بالنبوة . كذلك عندما اتي عبد المطلب في المنام مرات واخبر عن زمزم (١/ ٨٣) ويقول ابن اسحاق انه عندما أتي اول مرة قال لقريش : " تعلمون اني قد أمرت ان احفر لكم زمزم " قالوا : " فهل بين لك اين هي؟ قال : " لا " . قالوا : " فارجع الى مضجعك الذي رأيت فيه ما رأيت ،فان يك حقا من الله يبين لك ،وان يك من الشيطان فلن يعود اليك " (٣٨) .

ومن الرؤيا التي صدقتها العرب رؤيا رقيقة ،وخبرها انه تتابعت على قريش سنون اذهبت اموالهم ،فسمعت رقيقة قائلا يقول في المنام : " يا معشر قريش ..... فتطهروا وتطيبوا ثم استلموا الركن ،ثم ارقوا رأس أبي قبيس " فأصبحت نقصت رؤياها عليهم ،ففعلوا ما أمرتهم به (٣٩) (١/ ٨٩ — ٩٠) . وامتثال قريش لما رأته رقيقة والعمل به ،وامتناع أبي لهب عن الخروج اشفاقا من رؤيا عاتكة دليل على تصديقهم بالرؤيا دون تفريق بين رؤيا الرجال منهم والنساء .

---

(٣٨) السيرة م١ ،ص ١٤٥

(٣٩) المنمق ص ١٦٦ — ١٦٨

٤ - **الشياطين :**

اعتقدت العرب بوجود الشياطين وهي التي كانت تلهم الشاعر وتعين الكاهن وتأتيه بالاخبار وتبين له الغيب وسنأتي على ذكرها عند الكلام عن الكهانة والكهان .

٥ - **البعث :**

كان بعضهم يؤمن بالبعث ،فاذا ما مات منهم رجل عمدوا الى راحلته التي ركبها فاوقفوها على قبره معكوسة رأسها الى يدها ملفوفة الرأس في وليتها ،فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت ليركبها اذا خرج من قبره . وكانوا يقولون ،ان لم يفعل هذا ،حشر يوم القيامة على رجله . وكانت تلك الناقة التي يفعل بها هذا تسمى البلية [٤٠] ،وجمعها بلايا ،وهي التي عناها عمير بن وهب الجمحي حين قفل راجعا لقريش قبل وقعة بدر وقال : " يامعشر قريش البلايا تحمل المنايا " [٤١] (٢/ ١٦) اي انه رأى ابلهم وكأنها البلايا دلالة على موت اصحابها ،ولعل ايمان بعض العرب

(٤٠) المحبر ص ٣٢٢ - ٣٢٣ ،واللسان مادة بلا ،والسيرة م١ ،ص ٦٢٢ الحاشية .
(٤١) السيرة م١ ،٦٢٢ .

بالبعث بقية اخرى من بقايا دين ابراهيم الحنيف .

٣ — التقاليـــد والممارســـات الدينيـــة الوثنيـــة :

١ — الـموت وشعائر الدفـــــن :

كان العرب اذا ما مات احدهم غسلوه قبل دفنه [(٤٢)] ، فعندما مات ابو لهب ،وكان قد اصيب بالعدسة ،وكانت قريش تتقي العدسة وعدواها كما يتقي الناس الطاعون ،تركه ابناه ليلتين او ثلاثا ما يدفنانه ، حتى أنتن في بيته ،فقال لهما رجل من قريش : " ويحكما الا تستحيان ..... انطلقا فانا معكما " . وذكر ابن سعد انهم ما غسلوه الا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يمسونه (٤/ ٧٤) .

وكانوا ينعون ميتهم ويؤذنون بجنازته ،لذلك قال علقمة بن قيس للاسود وعمر بن ميمون قبل موته : " لا تؤذنا بي احدا فأنها نعي الجاهلية او دعوى الجاهلية " (٦/ ٩٢) ،وهـذا هو ايضا ما اوصى به ابو ميسرة اذ قال : " لا تؤذنوا بجنازتي احدا كدعاء الجاهلية " . ويبدو من هذين القولين انهم ،اي الجاهليون ،كانوا ينعون بكلام خاص ويدعون بدعاء

---

(٤٢) المحبر ص ٣١٩ .

خاص بموتاهم ،ولعلهم كانوا يتبعون الجنازة بنار ،فان عبد الله بن المغفل اوصى فقال : " لا تتبعوني بنار " (١٤/٧) (١١/٧) يريد ان يبتعد عن تقليد جاهلي .

٢ — **الــــوأد :**

كان بعض العرب يئدون بناتهم خشية الاملاق [٤٣] ،فقد روي أن زيد بن عمرو بن نفيل كان يحيي الموءودة وذلك بأن يأتي الرجل الذي يريد قتل ابنته ويقول : " مهلا لا تقتلها انا اكفيك موءونتها " (٣/ ٣٨١) . وجاء في التنزيل : " ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم " [٤٤] ولعل العرب اتبعت طريقة الوأد حتى لا يراق دم الموءودة فيسيل على الارض فتودى [٤٥] .

٣ — **الزواج والطـــلاق :**

لم يكن الزواج في الجاهلية محدودا بعدد معين من النساء ، فقد ذكر أن غيلان بن سلمة كان عنده عشر نسوة عندما أسلم فقال له النبي ،صلعم ،

---

(٤٣) المنمق ص ٤١٧

(٤٤) آية ٣١/ سورة الاسراء

(٤٥) انظر قصة الزباء وجذيمة .

" اختر منهن اربعا " (٥ / ٥٠٦) . وذكر ابن حبيب اسماء خمسة رجال غيلان سادسهم ،كان عند كل واحد منهم عشر نسوة عندما اسلموا [٤٦] . وكان الرجل في الجاهلية أحق بامرأة ابيه اذا مات عنها زوجها ولم تكن امه (٤/ ٣٨٥) . ويفصل ابن حبيب في هذا الامر فيقول ،ان الابن الاكبر هو الذى يرث زوج ابيه فيقوم ويلقي عليها ثوبه ،ولكن اذا لم يكن له حاجة فيها تزوجها بعض اخوته بمهر جديد [٤٧] .

وكان الطلاق معروفا عندهم [٤٨] . واشد انواعه ان يقول الرجل لامرأته : " انت علي كظهر امي " امعانا منه في تحريمها على نفسه وبذلك تحرم عليه آخر الدهر [٤٩] (٨/ ٢٧٩) .

٤ - التبني :

يبدو ان التبني كان امرا متعارفا عليه في المجتمع الجاهلي ، وكان يتم الاعلان عن ذلك امام شهود فيحق للمتبنى ان يتمتع بكل حقوق الابن

---

(٤٦) المحبر ،ص ٣٥٧ ،سنن ابي داود ،كتاب الطلاق .
(٤٧) المحبر ،ص ٣٢٥ - ٣٢٦
(٤٨) المحبر ،ص ٣٠٩
(٤٩) اللسان مادة ظهر .

الحقيقي بما في ذلك الوراثة في حالة الوفاة ،فزيد بن حارثة كان ينسب الى النبي محمد فيقال زيد بن محمد ،وذلك بعد ان تبناه النبي حين فضل زيد صحبته على الالتحاق بابيه . وقد أشهد النبي الحضور على ذلك فقال : " يا من حضر اشهدوا ان زيدا ابني ارثه ويرثني " (٣/ ٤٢) واستمر زيد ينسب الى النبي حتى نزلت آلاية : " ادعوهم لآبائهم " (٥٠) وهكذا نسخ الاسلام التبني الذي عرف في الجاهلية . ومن الحالات الاخرى (٥١) التي عرفت تبني الاسود بن عبد يغوث الزهري للمقداد ،فكان يقال له المقداد بن الاسود (٥٢) حتى نزلت " ادعوهم لآبائهم " فنسب الى ابيه فقيل المقداد بن عمرو (٣/ ٤٣) .

- الاحتفال ببلوغ الصبيـــة والبنات :

كان يتم الاحتفال ببلوغ الصبية مبلغ الرجال ،في دار الندوة التي ابتناها قصي ابن كلاب في مكة ،فيؤتى بالصبي ليعذر ،أي يختن (١/ ٧٠)

---

(٥٠) آية ٥/ الاحزاب

(٥١) انظر المنمق ،ص ٣١٣

(٥٢) المنمق ،ص ٤٥٤

ويتم ذلك بين العاشرة والخامسة عشرة من سني حياته [٥٣] .

اما البنت ،وكان يؤتى بها ايضا الى الدار ،فيشق عنها درعها الذي كانت تلبسه وهي بعد صغيرة [٥٤] (١/ ٧٠) ،وهـذا ايذان باكتمال انوثتها وانتقالها من مرحلة اللعب الى مرحلة تشارك فيها الكبار حياتهم .

وعادة الاحتفال بانتقال الجارية والصبي من مرحلة الطفولة الى مرحلة الشباب لم تقتصر على العرب ،بل هي معروفة في ثقافات قديمة اخرى . ولكن اين كانت هذه الشعيرة تجرى قبل بناء قصي لدار الندوة ؟ لعله كان يجرى في مكان مقدس .

٦ — التطهـر بالاغتسـال :

من عادة العرب الا يتوجهوا الى ربهم الا وهم طاهرون ، فكانوا يغتسلون من الجنابة [٥٥] . وفي رؤيا رقيقة انها سمعت في المنام

---

(٥٣) اللسان مادة عذر

(٥٤) السيرة م١ ،ص ١٢٥ ،والمنمق ،ص ٢٢٢

(٥٥) المحبر ،ص ٣١٩

من يقول لها : " .... تطهروا وتطيبوا ثم استلموا الركن ثم ارقوا رأس ابي قبيس ." (١/ ٩٠) ففعلوا قبل ان يتوجهوا الى ربهم بالدعاء . وفي خبر ذي الشرى دليل على اغتسالهم للتطهر [(٥٦)] .

٧ — تعظيم الاشـــهر الحـــرم :

كانت الاشهر الحرم هي محرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة . وهي اشهر عظمتها غالبية العرب وحفظت لها حرمتها — وان كان منهم من احلها كبني غفار [(٥٧)] (٤/ ٢١٩) — فكانوا لا يقتلون فيهـــا ، وان أرادوا قتل احد حبسوه حتى تخرج الاشهر الحرم ثم قتلوه ،وهــــذا ما فعله اهل مكة مع زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي ،فقد حبسوهما حتى خرجت الاشهر الحرم ثم اخرجوهما الى البقيع فقتلوهما (٢/ ٥٦) (٨/ ٣٠١) . وفي العاشر من ذي الحجة كانوا يتحالفون [(٥٨)] — بعد ان يكونوا قد تواعدوا لذلك قبل العشر (٤/ ١٠٣) — توكيدا للحلف وتثبيتا للعهد الذي يأخذونه على انفسهم .

---

(٥٦) انظر الفصل الاول مادة ذي الشرى

(٥٧) يقول ابن حبيب ان طيئا وخثعم كانوا يحلونها انظر المحبر ص ٣١٩

(٥٨) انظر المنمق ص ٢١٨ — ٢١٩

٨ - **الحلـــــف والعهــــــد :**

ذكرنا ان الحلف كان يتم في شهر ذي الحجة ،الشهر الحرام ،توثيقا له ،وحتى يتسم بشيء من القدسية ،كان يتم احيانا في مكان مقدس . ولنا مثل في حلف المطيبين ، فقد اخرجوا جفنة مملوءة طيبا ووضعوها حول الكعبة ثم غمسوا ايديهم فيها وتعاقدوا وتحالفوا ومسحوا الكعبة بأيديهـم توكيدا على انفسهـم . امـا الاحـــلاف ،وهم بنـــو عبـــــد الـدار ومن معهـم ،فقـد غمسوا ايديهـم في جفنـــة دم ولعقوها (٥٩) (١/ ٧٧) وبذلك ارتبطوا برباط هو نوع من قرابة الدم التي لا تنفصم .

هذا وقد درجت العرب على تعليق عهودها المهمة فـي جوف الكعبة تأكيدا لهذه العهود وتوثيقا لما جاء فيها ،من تلك التي علقـت صحيفة قريش في مقاطعة بني هاشم (٦٠) (١/ ٢٠٩) .

---

(٥٩) انظر المنمق ،ص ٢٢٣

(٦٠) السيرة م١ ،ص ٣٥٠ .

وكان الدين يشكل نوعا من التحالف والتماسك [٦١] .
ويتضح هذا ويفهم من قول ابي الحيسر . وقصته انه
قدم مع فتية آخرين من بني عبد الاشهل الى مكة للعمرة ،
وطلبوا حلف قريش ضد الخزرج . فأتاهم النبي ،صلعم ،
ودعاهم الى الاسلام ،فقال احدهم ،وهو اياس بن معاذ :
" ياقوم ! هذا والله خير مما جئتم له " . فاجابه ابو الحيسر ،
الحارث بن أنس : " انا خرجنا نطلب حلف قريش ،فنرجع بعداوة قريش ؟ "
(٣/ ٤٣٧ — ٤٣٨) .

وفي قول ابي لهب لاروى بنت عبد المطلب دليل آخر على ما ذكرنا .
فحين سألته ان يقوم دون ابن اخيه ،قال : " ولنا طاقة بالعرب قاطبة؟
جاء بدين محدث " (٨/ ٤٣) .

---

(٦١) Desmond Morris, The Naked Ape, Gorgi Books - 1969 - p. 158.

الفصل الثالث

الحج الى الكعبة وشعائره

ذكرت في الفصل السابق ان الحج شعيرة كانت تقوم بها العرب ، واقصد بذلك الحج الى مكة ،لانه ان كان هنالك حج الى مكان آخر ،فهو خارج عن نطاق هذا البحث ،لان حج مكة كان هو المتعارف عليه بين غالبية العرب ـ وهذا ما دعا ابرهة الى محاولته ثني اهل اليمن عن اداء هذه الشعيرة ـ ولان ابن سعد لم يتعرض لحج سواه . ولعل اتفاق معظم العرب على أداء هذه الشعيرة يعود الى انها بقية من دين ابراهيم ،فقد قال ابن اسحاق وابن الكلبي ،بأن العرب بقي " فيهم بقايا من عهد ابراهيم يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة .... مع ادخالهم ما ليس منه " (١) وفي قصة اساف ونائلة دلالة على ان الحج شعيرة عرفت منذ زمن بعيد (٢) .

المعروف ان الحج لا يتم الا بثلاثة ،الى اله معين ،في زمن معين والى مكان معين . والعرب كانوا يحجون لاله الكعبة ،في موسم الحج

---

(١) السيرة م١ ،ص ٧٧ ،الاصنام ،ص ٦

(٢) راجع الفصل الاول مادة اساف .

والى مكة (١/ ٩١) • وموسم الحج هو شهر ذي الحجة من الاشهر الحرم •
فاذا تمت هذه الشعيرة في غير موسمها ،انتفت عنها صفة الحج واصبحت عمرة •
وقد ورد ذكر العديد من العرب الذين كانوا يقدمون مكة معتمرين ،لا حاجين •
منهم رجل من أزد شنوءه يقال له ضماد (٤/ ٢٤١) وثمامة بن أثال (٥/ ٥٠٠)
وغيرهما (٣/ ٤٢٧) •

والحج كما ذكرنا كان يتم لمكان معين هو الكعبة ؛ لذلك عندما حاول
ابرهة الاشرم ثني أهل اليمن عن الحج ،بنى لهم بيتا في اليمن بناه من الرخام
الملون وحلاه بالذهب والفضة وحفه بالجوهر و ••• الخ (١/ ٩١)[٣] كي
يرغبهم فيه فينقطعوا عن حج بيت الله في مكة • والكعبة بيت عظمته العرب
لانه بيت الله بناه ابراهيم وابنه اسماعيل [٤] • وقد حافظ القرشيون على هذا
البيت محافظتهم على شيء يخصهم دون غيرهم ،وليس في هذا غرابة ،فهم
اعتقدوا انهم جيران الله واهل بيته (١/ ٧٨) ،وبلغ من اهتمامهم بالبيت
انهم اجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم حين رأوا السيل يدخله حتى انصدع وخافوا

---

(٣) السيرة م ١ ،ص ٤٣
(٤) السيرة م ١ ،ص ٤٨ •

ان ينهدم ،فقالوا : " لا تدخلوا في بنائها من كسبكم الا طيبا ،لم تقطعوا فيه رحما ،ولم تظلموا فيه احدا " (١/١٤٥) • وذلك لقدسية الكعبة ومكانتها في نفوسهم • ولو عدنا الى قصة اساف ونائلة [٥] ،وجدنا انها تقول بان اسافا ونائلة وفدا حاجين ،ويتضمن القول ابعادا للتهمة عن قريش وبقية الحمس ، وتأكيدا لقدسيتها عندهم ومكانتها في نفوسهم •

وكان القرشيون يعتبرون انفسهم المسؤولين عن حفظ الكعبة ورعايتها دون غيرهم من العرب ،اذ عندما وضع النبي الركن واحتاج الى حجر يشده به تقدم منه نجدي ليناوله حجرا ،فما كان من العباس بن عبد المطلب الا ان نحاه ،وهذا اغضب النجدي ،عندها قال له النبي : " انه ليس يبني معنا في البيت الا منا " (١/١٤٦) وفي هذا دلالة على ان قريشا تصرفت وكأنها تملك البيت دون سائر العرب وفي ذلك اثبات لوجودها وتركيز لسطوتها وتذكير بقوة شكيمتها • فأنها صاحبة رحلتي الشتاء والصيف ،وهي بحاجة دوما الى تذكير سائر العرب بانها مرهوبة الجانب وذات مكانة خاصة • ويمكننا ان نستشهد بما اورده ابن حبيب على لسان القرشيين فقد قالوا : " نحن بنو

---

(٥) انظر الفصل الاول ،مادة اساف •

ابراهيم واهل الحرمة ٠٠٠٠ فليس لاحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا ، فلا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم فانكم ان فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم " (٦) ٠ وان استخفت العرب بحرمة قريش ،استخفت بمقامها بين القبائل ،مما يؤثر على تجارتها وعلى عزتها ٠ وقد جعلت قريش هذا المركز الديني حقا موروثا بالولادة (٧) (١/ ٧٢) ٠

وبلغ من استغلال قريش لهذا المركز انها تركت اناسا من العرب يدخلون الكعبة وحرمت اناسا آخرين ،وفق هواها ،ذكرت عائشة ان النبي ،صلعم ،سألها : " اتدرين لم كان قومك رفعوا بابها " ،وكان للكعبة باب واحد ،فقالت : " لا ادري" فقال : " تعززا الا يدخلها الا من ارادوا " ،وكان الرجل اذا كرهوا ان يدخل يدعونه حتى اذا كاد ان يدخل دفعوه حتى يسقط (١/ ١٤٧) ،وهذا ما يؤكده سعيد بن عمر فقد روى عن أبيه انه قال : " رأيت قريشا يفتحون البيت في الجاهلية يوم الاثنين ويوم الخميس ،فكان حجابه يجلسون على بابه ،فيرقى

(٦) المنمق ،ص ١٤٣
(٧) المنمق ،ص ١٤٤

الرجل ،فاذا كانوا لا يريدون دخوله دفع فطرح فربما عطب " (١/ ١٤٧) .
وكان الداخل الى الكعبة لا يدخلها بحذاء ،بل يضع نعله تحت الدرج
(١/ ١٤٧) . ويؤيد ابن حبيب هذا القول ولكنه يبين ان الذيـــــن
كانوا يلتزمون بهذا الامر هم الحلــة ، وهم ليسوا اهل مكة ،فيقول عنهم
انهم " لا يجعلون بينهم وبين الكعبة حذاء يباشرونها باقدامهم " . ويقول
ايضا " انهم اذا دخلوا مكة تصدقوا بكل حذاء وكل ثوب لهم " (٨) ،
اي انهم كانوا يطوفون ايضا حفاة . في حين انه في كلامه عن الحمـــس
يقول انهم " لا يطوفون بالبيت الا في حذائهم وثيابهم ولا يمسون المسجـد
باقدامهم تعظيما لبقعته " (٩) . فهل كان الدخول الى الكعبة دون نعل ،
تقليدا يسير عليه الحمس والحلة ،ام انه يسري على الحلة فقط هذا غير واضـح
في كتاب الطبقات . ولكن الواضح ان القرشيين وضعوا سننا لانفسهم وأخر لسائر
العرب (١/ ٧٢) . ومن هذه السنن ما يتعلق بالطواف حول الكعبة ،فهـم
اي الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة (١/ ٧٢) ،كانوا يطوفون بثيابهم ،في حين
ان الحلة ،وهم سائر العرب ،كانوا يطوفون عراة بعد عرفة (٣/ ١٢) ،اذا

---

(٨) المحبر ،ص ١٨١
(٩) المحبر ،ص ١٨٠

لم يجدوا من ثياب الحمس ما يرتدونه اما عارية واما باجارة ،ومن طاف بثيابه لم ينتفع بها هو ولا غيره (١٠) .

والكعبة كانت قبلة العرب قبل الاسلام ،اليها كانوا يولون وجوههـم ، اذ عندما نزلت آلاية الكريمة : " فول وجهك شطر المسجد الحرام " (١١) وتوجّـه النبي الى الكعبة قيل : " ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها " (٤/ ٣٦٧) .

وكان يحيط بالبيت عد د كبير من الاصنام ،كما حوى عددا من الصور . وقد اعتادت العرب ان تعلق فيه عهودها ومواثيقها ،وان تضع فيه تقدماتهـا ونذورها وان تستقسم في داخله بالازلام ،ومر ذكر ذلك كل في موضعه .

وكان باب الكعبة مزينا بصفائح الذهب ،جعلها عبد المطلب (١٢) (١/ ٨٥) وكان لبابها حلقة أخذ بها من اراد ان يتقرب الى الله بدعـوة خالصة (١/ ٥٠) واراد ان يلجأ الى الله مباشرة ودون وساطة الشفعـاء

---

(١٠) المحبر ،ص ١٨١ ،المنمق ص ١٤٤ - ١٤٦ ،ابن حجر - باب الحج ، السيرة م٢ ،ص ٢٠٢ .

(١١) آية ١٤٤ / سورة البقرة .

(١٢) معجم البلدان ،مادة الكعبة .

من الاصنام • ومن العربمن تعلق باستار الكعبة داعيا ربه (١/١٨٩) او مستجيرا به (٢/١٤١) •

ذلك هو البيت الذي عرفت العرب فضله على غيره من بيوت عبادتها فعظمته ـ حتى انها ادخلته في بعض الاسماء ،فقيل عبد الكعبة (٧/ ٣٦٧) ـ وحجته واعتمرت اليه [(١٣)] •

شعائـــــر الحـــج :

" كان الحجاج يغدون في موسم الحج من كل بلد على ضوامر كأنهن القداح ،قد أزحفوا وتفلوا وقملوا و أرملوا " ،هكذا وصفهم هاشم بن عبد منـاف (١/ ٧٨) • وكان الحج بشعائره اياما اربعة ،يوم التروية ،وسمي كذلـــك لان العرب كانت تستقي فيه بمكة ،وهو اليوم السابق لعرفة [(١٤)]، ثم عرفـــه (١/ ٧٨) وكانت صوفة ،وهم الغوث بن مر ،يدفعون بالناس من عرفـــه [(١٥)]

(١٣) الاصنام ،ص ٣٣ ؛السيرة ،م ١ ،ص ٨٣
(١٤) اللسان مادة روى
(١٥) لمعرفة وقت الدفع انظر المحبر ص ٣١٩

(١/ ٦٨) الى ان استلم قصي حجابة البيت وأمر مكة . وبعد عرفه جمع وهو بالمزدلفة ثم منى ،وكانوا لا يرمون الجمار حتى يرمي رجل من صوفة ، كذلك كانوا لا ينفرون حتى تنفر صوفه ،فكانت تأخذ بجانبي العقبة فتحبس الناس حتى يقولوا " اجيزى صوفه " ،فلم يجز احد حتى تنفر صوفه فينفر الناس [١٦] ، ثم استلم الامر قصي فصاروا يقولون : " أجز قصي " (١/ ٦٨ — ٦٩) وبعد ان يصدر الحجيج من منى يتفرق الناس الى بلادهم (١/ ٧٨) . وكانوا يطوفون بالبيت قبل وقوفهم بعرفة . وقد شرعت لهم قريش ومن معها من الحمس ان يطوفوا بثيابهم ما لم يذهبوا الى عرفة . فاذا ما رجعوا منها لم يطوفوا طواف الافاضة بالبيت الا عراة او في ثوبي أحمسي . ومن طاف بثوبيه لم يحل له ان يلبسهما (١/ ٧٢) ،ومن خلع ثيابه وضعها على خشبة في الكعبة (٣/ ١٢) . ثم حرم الاسلام طواف العراة ،فقد قرأ علي بن ابي طالب براءة على الناس يوم النحر فقال : " ... لا يحج بعد اليوم مشرك ولا يطوف بالبيت عريان "(٢/ ١٦٩) .

وكان الحمس ،والتحمس اشياء احدثوها في دينهم تحمسوا فيها أي شددوا على انفسهم ،لا يخرجون من الحرم اذا حجوا [١٧] ولا يسلؤون السمن

---

(١٦) السيرة م١ ،ص ١٢٠ ،والمنمق ،ص ٣٠١ — ٣٠٩

(١٧) المحبر ،ص ١٧٩ — ١٨٠ ،والمنمق ص ١٤٤ — ١٤٦

ولا ينسجون مظال الشعر (١/ ٧٢) .

وكما احدثت قريش بدعة الطواف عراة ،أوقدت النار بالمزدلفة .
وكان الذي أحدثها قصي ،وذلك حتى يراها من دفع من عرفة . وكانت توقد ليلة جمع [18] (١/ ٧٢) .

وكان الاتصال الجنسي محرما اثناء الحج وفي الكعبة وحماهـــا ، نقول هذا استنادا الى قصة اساف ونائلة التي ذكرت انهما وفدا حاجين ففجرا في الكعبة فمسخا حجرين . ويبدو ان المصادر العربية لم تشر الى هذا التحريم باعتباره امرا مفروغا منه ،لكن ربرتسون سميث وقف عنده [19] .

ولم يتطرق ابن سعد لكل مناسك الحج كالاحرام [20] مثـلا ،كما انه لم يذكر تعظيمهم الحجر الاسود اثناء الحج ،في حين ان ابن حبيـــب قال انهم كانوا يطوفون بالبيت اسبوعا ويمسحون على الحجر الاسود ،ويسعـــون

---

(١٨) المحبر ،ص ٢٣٦
(١٩) انظر سميث ص ٤٨١ ،٤٥٤ ،٤٥٥
(٢٠) انظر المنمق ،ص ٣٢٧

بين الصفا والمروة . وقد اورد ايضا تلبيات القبائل لاصنامها اثناء الطواف والسعي [٢١] . وكل ما ذكره ابن سعد عن الحج جاء مفرقا حسب ما تطلبه سياق كتابه في سير اجداد النبي ،ولعل هذا يعود الى امرين ، اولهما لتبيان مركز قريش بين العرب ،ووفادتها واكرامها للحجيج (١/ ٧٨) . وثانيهما للتذكير بان الحج هو شعيرة شرعها الله لابراهيم ولمن اتى بعده . (١/ ٧٢) .

وفي الختام يمكن القول ان الحج شعيرة قديمة كانت العرب تؤديها لله تعالى ،رب الكعبة . وهي مما تبقى من شريعة ابراهيم عليه السلام . ولكن بعد العهد بابراهيم ، فتغلغت بمرور الزمن بمظاهر وثنية فاصبح العرب في طوافهم حول الكعبة يلبون للاصنام التي وضعوها ، كل قبيلة لصنمها التي تنسك له ،بدلا من التلبية لله رب البيت ،كما ان بعضهم كان يستكمل مناسكه عند صنمه [٢٢] .

---

(٢١) المحبر ،ص ٣١١ ـ ٣١٥ .
(٢٢) الاصنام ،ص ١٤

الفصل الرابع

الوظائف الدينية

١ ـ الكهانة :

وهي التكهن بما سيحدث ،او معرفة ما حدث ،وهي وظيفة دينية تتعلق بالغيبيات ،وكانت معروفة عند العرب ،لذلك عندما نزل الوحي على النبي ،اعتقدت قريش بادئ الامر انه ضرب من الكهانة ،فلم ينكروا ما كان يقول ،بل كان اذا ما مر عليهم في مجالسهم اشاروا اليه وقالوا : ان غلام بني عبد المطلب ليكلم من السماء (١/ ١٩٩) ، وقد اعتقدت العرب ان الكاهن على اتصال بالجن ،او له شيطان او يكلم من السماء ،حتى ان النبي ،عندما نزل الوحي عليه ،ولم يكن له به خبرة ،ريع وقال لخديجة : " اني ارى ضوءا واسمع صوتا ،ولقد خشيت ان اكون كاهنا " (١/ ١٩٥) ، ويبدو ان الكاهن العذري اختار اسم عزى سلمة (١/ ٨٨) للدلالة على انه على اتصال بشيطانته ، ويقول ابن حبيب ان العزى اسم شيطانة [١] وانه لا يكون احدهم كاهنا حتى يكون معه شيطان تابع له [٢] .

---

(١) المنمق ،ص ١١٠

(٢) المحبر ،ص ٣٩٠

وكان التابع يتخذ صورا مختلفة حين يظهر لصاحبه . من تلك الصور هيئة الطائر . فقد ذكر ان امرأة من اهل المدينة كان لها تابع جاء اليها في صورة طائر فحط على حائط الدار . (١/ ١٩٠) . ولم تقتصر الكهانة على الرجال ،بل كان هنالك كاهنات ،منهن كاهنة بني سعد بن هذيم ، وكانت بمعان من اشراف الشام ،واليها اتجه عبد المطلب وجماعته من قريش ليحكموها في امر طويِ اسماعيل (١/ ٨٣ ـ ٨٤) ومنهن ايضا الغيطلة كاهنة بني سهم (٤/ ٢٤) . وكانوا يقطعون مسافات شاسعة ،ويسيرون اياما وليالي ليصلوا الى كاهن او كاهنة يحتكمون (١/ ٨٤) او يتنافرون (١/ ٧٦/ ٨٨ (٤/ ٢٢٠) وهم راضون بما حكم الكاهن ولمن حكم ،وهنا يجدر بنا ان نشير الى ما ذكره ابن حبيب من ان المتنافرين والمحتكمين كانوا يمتحنون قوة الكاهن الغيبية قبل ان يعرضوا عليه قضيتهم ،ويكون هذا بأن يخبئوا له خبيئا ويسألوه عنه ،فان عرفه تأكدوا منه وعرضوا عليه امرهم (٣) .

ولكن هنا سؤال يطرح نفسه : ما هي الصفات التي كان يتصف بها الكاهن ،عدا عن اتصاله بتابعه ؟ والذى يثير هذا الامر هو ما أورده ابن

---

(٣) انظر المنافرات في المنمق ،ص ٩٤ ـ ١٢٠

سعد على لسان خديجة زوج الرسول ،فقد قالت لزوجها عندما ابدى مخاوفه من الكهانة : " ان الله لا يفعل بك ذلك يا ابن عبد الله ،انك تصدق الحديث وتؤدي الامانة وتصل الرحم " (١/ ١٩٥) . فهل كان الكاهن على عكس ذلك ؟ هذا سؤال يطرح نفسه ومن الصعب الاجابة عليه .

٢ - الحجابة والسدانة :

يعرف ابن منظور السادن بأنه خادم الكعبة وبيت الاصنام ،ويقول ان السدنة هم حجاب البيت وقومة الاصنام . ويسوق قول ابن بري بأن الحجابة تختلف عن السدانة ،في ان الحاجب يحجب واذنه لغيره ،والسادن يحجب واذنه لنفسه [(٤)] ومع ان السادن حسب تعريف ابن بري أعلى مقاما من الحاجب ، الا ان سدانة البيت كان يطلق عليها اسم الحجابة . وكان حاجبها أمره لنفسه ، ففي تعريف ابن منظور للسدنة قال : هم حجاب البيت ،مما يدل على ان التفريق بين اللفظين لم يكن صارما ،وكانتا تستعملان في معنى واحد احيانا . وحجاب

---

(٤) اللسان مادة سدن .

الكعبة كانت السلطة بايديهم واذنهم لانفسهم ،ويتضح هذا من قول ابن سعد ، فقد قال ان حجابة الكعبة كانت في يد حليل ،وهو صاحب امر مكة والحكم فيها .

وكانت حجابة البيت وراثية ،فعندما مات حليل حجب البيت ابنه المحترش ،ابو غبشان [(٥)] (١/ ٦٧ — ٦٨) وقيل ان حليلا اوصى بها لقصي ،زوج ابنته ،وقيل ،في رواية ثالثة ،انتزعها قصي لنفسه وجعلها في قريش ، فقد رأى انهم اولى بالبيت واهل مكة من خزاعة وبني بكر لان قريشا فرعة اسماعيل بن ابراهيم وصريح ولده (١/ ٦٨) .

والحجابة وظيفة دينية تمتع صاحبها بمركز عال وتشرفه . لذلك عندما كبر قصي ورق ،وكان ابنه عبد الدار ،وهو اكبر اولاده ،ضعيفا ،وا خوته قد شرفوا عليه ،قال له قصي : " اما والله يابني لالحقنك بالقوم وان كانوا شرفوا عليك ، لا يدخل احد منهم الكعبة حتى تكون انت الذي تفتحها له ،ولا تعقد قريش.. " فأعطاه دار الندوة وحجابة البيت واللواء والسقاية والرفادة ،وخصه بذلك ليلحقه بسائر اخوته (١/ ٧٣) وهكذا اصبحت مفاتيح الكعبة في يد بني عبد

---

(٥) يقول ابن حبيب ان الاسمين لرجلين مختلفين . راجع المنمق ص ٣٥٠ ،هذا وقد فصل ابن حبيب في امر حجابة الكعبة وانتقال مفاتيحها . راجع المنمق ،ص ٣٤٤ — ٣٥١ .

الدار [٦] ،وكانوا يفتحون باب الكعبة يومي الاثنين والخميس من كل اسبوع (١/ ١٤٧) كما كانوا لا يسمحون بدخولها الا من ارادوا [٧] . هكذا كانت حجابة البيت ،وان كانت وظيفة دينية الا ان صاحبها كان يتمتـــــع بسلطة دنيوية .

ويبدو ان الحاجب قبل قصي كان يتقاضى أجرا ،فأبو غبشان ،كانت العرب تجعل له جعلا في كل موسم ،حتى اذا ما قصروا به في احد المواسم ، ومنعوه بعض ما كانوا يعطونه ،غضب ،فاشترى منه قصي البيت بزق خمر "(١/ ٦٨) ويقول ابن حبيب انه اعطاه اثوابا وأبعرة [٨] ،فطابت نفسه . ويبدو من ثنايا الرواية ،ان قصيا ،وكان صاحب مال وشهرة ،اشترى البيت ولم يشتر الجعل معه ، فحجب البيت دون ان يتقاضى عليه أجرا .

وكما كانت حجابة البيت وراثية ،كذلك كانت سدانة بيوت الاصنام ، فسدانة العزى كانت في بني شيبان من بني سليم (٢/ ١٤٦) وقيل ان آخر من قام عليها منهــــم كان دبية السلمي [٩] . وسدانـــــة الـــلات كانـــت

---

(٦) المنمق ص ٣٥١

(٧) راجع الفصل الثالث ما ذكر عن الكعبة .

(٨) المنمق ص ٣٥١

(٩) الاصنام ،ص ٢٢

في بني معتب من ثقيف [١٠] فقد جاء على لسان المغيرة بن شعبة ،وهـــو من بني معتب ،انه قال : " ..... ونحن سدنة اللات [١١] (٤/ ٢٨٥) .

ولم يكترث ابن سعد لسدانة بقية الاصنام ،حتى انه ذكر بعض السدنة وأهمل اسماء الاصنام التي كانوا قومتها . من ذلك ما اورده عن راشد بـــــن عبد ربه ،فقد قال انه كان يسدن صنما لبني سليم ولم يذكر اسم ذلك الصـــنم [١٢] (١/ ٣٠٨) .

وفي خبر عمرو بن مرة الجهني ،ذكر انه كان سادنا لصنم كان هـــو وقومه يعظمونه (١/ ٣٣٣) . ولكن ابن حبيب وياقوت وابن الكلبي وابن هشام قد ذكروا فرع القبيلة التي كانت السدانة فيها ،عندما تكلموا عن كل صنم على حدة .

ولا نعلم هنا ان كان للسادن جعل متعارف عليه بين العرب .
ولعله كان يأخذ نصيبا من النذور التي كانت تقدم للاصنام ،او كان له الحق فـي التصرف في كل ما يقدم لها ،فقد ورد ان بعض خزانات الاصنام وجدت خاويـــة عندما ارسل النبي السرايا لهدم الاصنام . منها خزانة سواع (٢/ ١٤٦) وخزانـة مناة (٢/ ١٤٧) .

---

(١٠) السيرة م١،ص ٨٣ ،م٢ ،ص ٤٣٦ ؛ الاصنام ،ص ١٦ ــ ١٧ ، ٢٢
(١١) يقول ابن حبيب ان سدنته كانوا آل ابي العاص من بني يسار من ثقيف ،انظر المحبر ص ٣١٥ .
(١٢) ولعله كان صنما للعزى ،٢/ ١٤٦ ؛السيرة م١ ،ص ٨٣ .

٣ - وظائف خاصة بالحج :

وهي الرفادة والسقاية والدفع من عرفة والافاضة من منى .

أ - الرفادة والسقاية :

وهما اطعام الحجيج وسقايتهم ،وكانت هاتان الوظيفتان ،كحجابة البيت ،في بني عبد الدار . والحجابة والرفادة والسقاية جميعها مظهر من مظاهر الشرف لذلك خص قصي ابنه عبد الدار بها ليشرف ويبلغ مبلغ اخوته ويلحق بهم (١/ ٧٣) . وكانت قريش جميعها تسهم في رفادة الحجيج ، فقد كانوا يخرجون كل عام من اموالهم خرجا ،يدفعونه الى من كانت الرفادة في يده ،فيصنع طعاما للناس ايام مكة ومنى (١/ ٧٣) فكانوا يطعمونهم بدءا باليوم الذى يسبق التروية ،ثم ايام التروية وعرفه وجمع ومنى (١/ ٧٨) آخر يوم في الحج . وكانوا يحضرون لهم الماء في حياض من ادم يستسقى ماؤها من آبار مكة ،توضع في مكان زمزم (١/ ٧٨) ،الى ان حفر عبد المطلب زمزم التي تسقي الحجيج الاعظم ،فترك حياض الادم . وكان عبد المطلب يحمل الماء من البئر ليسقي الحجاج وهم على عرفة (١/ ٨٣) .

وقد التزم القرشيون بالرفادة والسقاية لانهم اعتقدوا انهم جيران الله واهل بيته ،وهو ما كان يقوله هاشم بن عبد مناف لقريش في موسم الحج حين كان يخاطبهم : " يا معشر قريش ،انكم جيران الله واهل بيته ،وانه يأتيكم

في هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته ،فهم ضيف الله ،واحق الضيف بالكرامة ضيفه . وقد خصكم الله بذلك واكرمكم به ،وحفظ منكم افضل ما حفظ جار من جاره ،فأكرموا ضيفه وزوره " (١/ ٧٨) . وفي الحقيقة ،ان ما حث هاشم قريشا عليه ،كان حفظ الجوار وقرى الضيف ،وهما رابطتان اجتماعيتان تعارفت العرب على أنهما من الفضائل . فقريش جيران الله ،وهو الـــذي حفظ لهم افضل ما حفظ جار من جاره ،لذلك توجب عليهم أن يفوا بالتزاماتهم وان يكرموا ضيوفه وزوره ،وان يعتبروهم ضيوفا عليهم ،فيقروهم كما يجب ان يقري الرجل ضيفه (١٣) ،خصوصا وان هؤلاء الضيوف كانوا يتحملون مشاق السفــر الى مكة ،فيصلون شعثا غبرا قد أزحفوا وتفلوا وقملوا وأرملوا (١/ ٧٨) .

وحتى تتم واجبات الضيافة أوقد قصي النار في المزدلفة ليلة جمع لهداية الحجيج (١/ ٧٢) ،كما كانت نار القرى توقد لهداية الضيفان وهي مظهر من مظاهر الكرم وحسن الضيافة عند الجاهليين . وقد حفظوا للاشهر الحرم حرمتها ، لما في ذلك من حماية للحجيج ،فسلامة الضيف كانت من التزامات المضيف .

ومع ان السقاية والرفادة وظيفتان دينيتان تختصان بالحج فانهما ترميان الى هدف اقتصادي وهو الهدف الذي كانت فضيلتا القرى وحفظ الجوار ترميان اليه،

---

(١٣) وكانت العرب تتوقع هذه الضيافة في حجها وعمرتها ،راجع المنمق ،ص ٤٢٥

وهو ،ونستعير التعبير من الرسالة التي ارسلها يزيد بن عبد المدان الى قيس بن عاصم : " ان المعروف قروض ،ومع اليوم الغد " (١٤) اي انه في حماية الحجيج ورفادتهم وسقايتهم حماية لمصالح قريش وتجارتها في رحلتي الشتاء والصيف ،عدا عن الرفعة والشرف اللذين يرافقان الاطعام والسقاية •

— الدفع من عرفة ورمي الجمار والافاضة :

وهذه وظائف اخرى تختص بالحج ،وكانت في يد صوفة ،الغوث بن مر • فهي التي كانت تدفع بالحجيج من عرفة ،وهي التي كانت تبدأ برمي الجمار فلا يرمي احد حتى يرمي رجل من صوفة ،كذلك كانت تأخذ بجانبي العقبة، فتحبس الناس وهم يقولون : أجيزي صوفة • فاذا ما نفرت ومضت خلي سبيل الناس (١٥) (١/ ٦٨) وبقي الامر في يدها حتى اخذ قصي بمقاليد الامور ،فاتى العقبة بمن معه من قريش وكنانة وقضاعة ،وقالوا : " نحن اولى بهذا منكم " ،فاقتتلوا حتى انهزمت صوفة ،وقال رزاح ،اخو قصي لامه ،اجز قصي ،فاجاز الناس • ولم تزل الافاضة في ولد قصي حتى عهد ابن سعد ،(١/ ٦٨ — ٦٩) • ويختلف هنا ما اورده ابن اسحاق عن ما اورده ابن سعد • فقد قال صاحب السيرة ان الافاضة كانت في

---

(١٤) ابو الفرج الاصفهاني ،الاغاني ، دار الثقافة — مجلد ١٢ ،ص ١٦

(١٥) السيرة م١ ،ص ١٢٠

عدوان [١٦] بعد انقراض صوفة ،وان قصي أقرهم على ذلك [١٧] . اما فيما يتعلق بالدفع من عرفة فلم يتعرض لذلك ابن سعد ،ولم يشر لمن آل امـــر هذه الوظيفة ،والمعلوم ان الحمس كانوا لا يخرجون من الحرم اذا حجوا ((١/ ٧٢) ،ولكن ابن اسحاق يقول ان آل صفوان من بني سعد قد ورثوا ذلك عن صوفة بالقعدد [١٨] وكان آخرهم الذي قام عليه الاسلام كرب بـــن صفوان [١٩] . وان قصيا أقرهم على ما كانوا عليـــه [٢٠] .

وكانت وظائف الحج هذه ترفع من شأن اصحابها لذلك اقتتـــل العرب بسببها [٢١] (١/ ٦٨ ـ ٦٩) ولعل ذلك يعود الى ما تتصـــف به من قيادة للحجيج اثناء مناسك الحج .

---

(١٦) السيرة م١ ،ص ١٢٢
(١٧) السيرة م١ ،ص ١٢٤
(١٨) السيرة م١ ،ص ١٢٠
(١٩) السيرة م١ ،ص ١٢١
(٢٠) السيرة م١ ،ص ١٢٤
(٢١) السيرة م١ ،ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ،المنمق ص ٣٥٢

الفصـــل الخامـــس

الاديان الاخـرى في الجزيرة قبـل الاســلام

لا بد ،لاستيفاء ما اورده ابن سعد عن الدين والمعتقد في الجاهلية ، من ذكر ما ساقه عن النصارى واليهود والمجوس ،وان كان يسيرا ،ثم ما اورده عن الحنفاء . واليسير الذى ذكره ،دار في غالبيته حول صفة النبي كما وردت في التوراة والانجيل ،وعن مولده ومبعثه وهجرته ووفاته ،وحول بعض التقاليد الاجتماعية التي التزمت بها فئات دينية ،ونهى المسلمين عن تقليدها . هذا هو ما تطلبه سياق الطبقات الكبرى ،وجاء في خدمة الغاية التي رمى اليها مؤلفه ابن سعد .

١ ـ اليهوديـــة :

وكانت منتشرة في بعض اجزاء من الجزيرة العربية كالمدينة وخيبر وفدك (١/ ١٥٩) واليمن (١/ ٤١٢) . وهي دين سماوى يدعو الى وحدانية الله . ويبدو ان احبارهم تشددوا في التوحيد ،حتى ان احدهم اعتبر المسلمين مشركين لانهم حلفوا بالكعبة . فقد جاء ان حبرا قال للنبي ،صلعم : " يامحمد نعم القوم انتم لولا انكم تشركون " . وعندما استوضحه الرسول قال : " يقول احدكم لا والكعبة .... " ثم قال : " يامحمد نعم القوم انتم لولا انكم تجعلون الله نداً" قال النبي : " وكيف ذلك ؟ " فاجاب الحبر : " يقول احدكم ما شاء الله وشئت[1] . (٨/ ٣٠٩) .

---

(١) اللسان مادة شيأ

وكانوا يعتبرون جبريل عدوا لهم ،وهو ما قالت به عصابة منهم حين وفدوا على النبي . فقد سألوه عن وليه من الملائكة وقالوا له : " حدثنا عن وليك وعندها نجامعك او نفارقك " . قال : " وليي جبريل .... " قالوا : " لوكان وليك سواه من الملائكة لتابعناك ،وصدقناك .... انه عدونا [٢] " (١/ ١٧٤ ـ ١٧٥) فاحتج البعض منهم بعدائهم لجبريل حتى لا يتبعوا النبي ،في حين ان البعض الاخر لم يتبعه حسدا . فقد جاء على لسان عبد الله ابن صوريا ،وكان اعلم اليهود ،انه قال : " ان القوم ليعرفون ما اعرف ،وان صفتك ونعتك لمبين في التوراة ،ولكنهم حسدوك " (١/ ١٦٤) .

وكانوا يعظمون السبت ويلتزمون الراحة فيه (٣/ ١١٨) ويمتنعون عن القتال [٣] . لان منهم قوما عدوا في السبت فمسخوا قردة وخنازير [٤] (٢/ ٦٩) . وقد ذكر اسامة ابن زيد ان النبي قال ان اليهود كانوا يحرمون الشحوم ويأكلون أثمانها (٢/ ٢٤١) . كذلك كانوا يمتنعون عن تغيير الشيب وقيل انه كان محرما عليهم . فقد ورد عن الزهري انه قال : مكتوب في التوراة ملعون من غيرها بالسواد يعني اللحية (١/ ٤٤١) . وقد حث النبي المسلمين على الصباغ حتى لا يتشبهوا

---

(٢) جاء في القرآن حول عداوة اليهود لجبريل : "قل من كان عدوا لجبريل ،فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين "٩٧/ سورة البقرة .

(٣) السيرة م١ ،ص ٥١٨

(٤) اشار القرآن الى ذلك " ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين " ٦٥/ سورة البقرة .

بهم (١/ ٤٣٩) . هذا وكانوا يجلون انبياءهم والصالحين منهم الى درجة انهم اتخذوا من قبورهم مساجد لهم (٥) (٤/ ٢٨) . وكانوا اذا مات احدهم ساروا به الهويني وتهودوا به (٧/ ١١) .

وكان السحر من الامور التي مارسوها ، وقيل ان لبيد بن الاعصم كان اعلمهم بالسحر وبالسموم ، وحاول ان يسحر النبي فكان الرسول يقول : " سحرتني يهود بني زريق " (٢/ ١٩٧ - ١٩٨) .

النصرانية :

وهي دين سماوي ثان كان له اتباعه في الجزيرة العربية منهم من كان في دومة الجندل (٢/ ٨٩ ، ١٦٦) (٣/ ١٢٩) ومنهم من كان في نجران ، (١/ ٢٦٦ ، ٢٨٨) وهي اكبر مراكزهم .

وقيل ان كتبهم السماوية بلغت اثنين وتسعين كتابا . فقد ذكر عن وهب ابن منبه انه قال : " قرأت اثنين وتسعين كتابا ، كلها انزلت من السماء ، اثنان وسبعون منها في الكنائس وفي ايدي الناس ، وعشرون لا يعلمها الا قليل " (٥/ ٥٤٣) .

---

(٥) البخاري ، شرح الكرماني - كتاب الصلاة ٤٢٦ ، ابن حجر ، المغازي ، الجنائز

وقد ورد في هذه الكتب جميعها ،على حد قول وهب بن منبه : " ان من أضاف الى نفسه شيئا من المشيّة فقد كفر " (٥/ ٥٤٣) . واذا كانت الكتب التي قرأها وهب تجمع بين الانجيل والتوراة ،يكون تفسير هذه العبارة/ قد ورد على لسان الحبر الذي اتهم المسلمين بأنهم يجعلون لله نـــدا بقول الواحد منهم : " ما شاء الله وشئت " (٨/ ٣٠٩) . اي ان من وضع في نفسه شيئا من المشيئة يكون قد جعل نفسه لله ندا فكفر . وفي هذا تأكيد على تسامي الخالق عن البشر وتنزيه له ورفعة ،وهذا ما حرصت النصرانية عـــلى تأكيده في الكتب المنزلة .

والنصارى ،كاليهود ،لم تكن تستعمل الخضاب [٦] (١/ ٤٣٩) (٣/ ١٩١) . كذلك كانوا يجعلون حول قبور انبيائهم وصالحيهم امـــاكـن عبادة [٧] ،ويصورون فيها الصور (٢/ ٢٤٠) [٨] ،وقد نهى النبـــي المسلمين عن ذلك حتى لا يتحول صاحب القبر الى شفيع وتتحول الصورة الى وثن .

وكان منهم الاساقفة والاحبار ،وكان زيهم يختلف عن زي الرهبان فقد كانوا يلبسون ثياب الحبرة ويرتدون اردية مكفوفة بالحرير . اما الرهبان ،فكانت ثيابهم بسيطة وربما كانت خشنة [٩] (١/ ٣٥٧)

---

(٦) ابن حجر ،اللباس ،المغازي .
(٧) ابن حجر ،المغازي ،وفاة النبي ،الجنائز ،البخاري ،شرح الكرماني ،كتاب الصلاة
(٨) البخاري ،شرح الكرماني ،كتاب الصلاة .
(٩) السيرة م١ ،ص ٥٧٤ .

٣ — المجـــــوس :

وكان منهم جماعة في البحرين (١/ ٢٦٣) ،ومن تقاليدهم انهم لا يأكلون الجبن (٧/ ١٠٧ — ١٠٨) ولا يمسون اللحم (٣/ ٣٥٠) ويعفون الشارب ويحفون اللحى (١/ ٤٤٩) • وكانت لهم نار يوقدونها ولا يتركونها تخبو ،وكان قاطن يخدمها ويغذيها حتى لا تنطفئ (١٠) (٤/ ٧٥) •

هذا هو ما ذكره ابن سعد عن اليهودية والنصرانية والمجوسية وهو يسير •

الحنيفيـــــــــــة :

ما الذي دعا الى ظهور هذه الفئة ؟ كانت الديانات في الجزيرة العربية ،كما اتضح من هذا البحث ،نصرانية في نجران ودومة الجندل ،يهودية في المدينة وخيبر وفدك ،مجوسية في البحرين ،ووثنية ،وهي الغالبة ،في مكـــة والمدينة وسائر الجزيرة •

---

(١٠) السيرة م ١ ،ص ٢١٤

وتبدو الوثنية ،كما مر سابقا ،تشويها لدين قديم تميز بتوحيد الـــه فوق مستوى الاصنام اطلق عليه دين ابراهيم عليه السلام [١١] . وفي هذا الدين مشابه مما كان في اليهودية والنصرانية ،الا انه لاسباب لا يمكن القطع بهـــــا ، لم تكن اليهودية والنصرانية في شكلهما العام ،لتستهوي نفوس بعض المتأملـــين من العرب ،ولهذا كان هؤلاء يفتشون عن شيء آخر ،عن دين يوافق النفسيــة — العربية — ان صح القول . وتأتي نبوءات الانجيل والتوراة لتسعف على توجيــه ذلك الظمأ النفسي ،حين تبشر بأن زمان نبي قد اطل (١/ ١٦٢ ، ٣٥٠) (٣/ ٢١٥) ،وتقول بأن اسمه احمد او محمد (١/ ١٠٤ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٩) (٣/ ٢١٥) وتبين صفته وتذكر مبعثه ودار هجرته [١٢] (٣/ ٢١٥) ، فيسمي بعض العرب ابناءهم محمدا طمعا في النبوة [١٣] (١/ ١٦٩) ويتساءل الرهبان في صومعاتهم ان كان قد خرج النبي المنتظر (٣/ ٢١٥) . الاسقف والراهب ينتظران ان يتحقق ما بشر به عيسى عليه السلام ،والحبر ينتظر ما جاء

---

(١١) يرجع انحراف العرب في دينهم ،كما اعتقد ،الى امرين مترابطين البعد الزمني وانعدام كتاب مقدس محفوظ . فمع طول العهد ،تقبل العرب معتقدات وشعائر ادخلوها في دينهم الى جانب ما بقي في نفوسهم من هذا الدين . ولم يكن لديهم كتاب يعرضون عليه هذه المعتقدات والشعائر ليردهم الى سواء السبيل . فكانت النتيجة الوثنية التي عرفوا قبل الاسلام .

(١٢) السيرة م ١ ،ص ٥١٦ — ٥١٧

(١٣) المحبر ،ص ١٣٠

في التوراة وفي نفسه توق أن يكون هذا النبي من بني اسرائيل (١٦٢/١) •
ولكن النصراني له انجيله ،واليهودي توراته بين يديه ،كلاهما كتاب سماوي ،
اذن ينتظر اليهود والنصارى وبوسعهم الانتظار ،فهم لا يشعرون بالضياع •
والوثنيون ،الذين يمارسون شعائرهم التي ولدوا عليها والذين يرددون ما سمعوا
من آبائهم دون تبصر وامعان ،لا يقلقهم الانتظار ،فهم يسمعون بقرب خروج نبي ،
وينتظرون مع المنتظرين ،يساعدهم في ذلك اصحاب النفوذ الديني والدنيوي الذين
يستفيدون من الوضع القائم فيعملون على ابقائه • (لذلك كانت قريش اشد العرب
عداوة للنبي) • ولا يطول الانتظار الا على من ينحرف عن الدين القويم ويشعر
بانحرافه ،يطول على الذي يولد على دين ابيه ،يمارس الشعائر الوثنية ثم يستفيق
على وثنيتها • فتظهر فئة ترفض بعض/هذه الشعائر وفئة ترفض كل تلك الشعائر • هؤلاء
هم المتألهون ، الذين يتعبدون لله ويعظمون امره [١٤] ،بعضهم ينسك لله
يقوم بشعيرة مما عرف ويعرض عن اخرى ،يحلل ويحرم كما يوجهه عقله [١٥] ،ولا يفتش
عن بديل • وبعض آخر يرفض الشعيرة والصنم والمعتقد المنحرف ،ويبحث عن دين
يلبي حاجته ،ينظر حواليه فيرى اليهودية والنصرانية فيتجه صوبهما للتعرف عليهما ،
فاما ان يرضى بواحدة منهما [١٦] (٤/ ٧٧ — ٧٩) واما ان يعرض عن كلتيهما

---

(١٤) السيرة م ٢ ،ص ٣١٢
(١٥) المنمق ص ٥٣١ — ٥٣٢ ،المحبر ص ٢٣٧ — ٢٤١
(١٦) السيرة م ١ ،ص ٢٢٣

(١/ ١٦٢) ،هذا المرء مع صحبه يشكل جماعة يمكن ان نسميها الحنفاء . وسنتكلم عنهم ،على الرغم من كونهم قلة ضئيلة العدد ،وذلك لان ابن سعد ذكرهم واسهب في الكلام عن بعضهم .

من هؤلاء المتألهين الحليس بن علقمة ،وهو الذي ارسلته قريش ليرى امر النبي وصحبه في الحديبية [١٧] (٢/ ٩٦) . وعبد الله بن ابي وابن خالته ابو عامر الراهب (٣/ ٥٤٠) وعبد المطلب جد النبي (١/ ٨٥) . وهنالك غيرهم ممن ترك/بعض سنن الجاهلية [١٨] .

ومن المتألهين الحنفاء ابو ذر الغفاري الذي كان يقول : " لا اله الا الله " ،ولا يعبد الاصنام (٤/ ٢٢٢) ،وكان يصلي لله قبل أن يلقى الرسول بثلاث سنين (٤/ ٢٢٠) [١٩] . ومنهم عمرو ابن عبسة السلمي وكان يرغب عن آلهة قومه (٤/ ٢١٧) ،وابو الهيثم بن التيهان وقد كره الاصنام وقال بالتوحيد ،وكان معه في ذلك اسعد بن زرارة (٣/ ٤٤٨) .

---

(١٧) السيرة م٢ ،ص ٣١٢

(١٨) انظر المنمق ،ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، ٢٨٥ ،والمحبر ،ص ١٧١ ، ١٧٢ ،والسيرة م١ ص ٢٢٢ — ٢٣٢ ، ٢٣٠ ، ٥١٠

(١٩) ابن حجر ،الجزء الثامن ،ص ١٧٣ ،الحاشية .

ومنهم ايضا زيد ابن عمرو بن نفيل [٢٠] (١/ ١٦٢) (٣/ ٣٧٩) ـ ٣٨١)
وابو قيس بن الاسلت (٤/ ٣٨٤) وسلمان الفارسي (٤/ ٧٧ ـ ٨١) ٠

وكان ابو ذر وعمرو بن عبسة وابو الهيثم واسعد بن زرارة قد تركوا الاصنام وقالوا بوحدانية الله ،ولكنهم لم يفتشوا عن دين بديل بل اكتفوا ببعدهم عن شعائر الوثنية ٠ اما زيد بن عمروا وابو قيس بن الاسلت ،فقد رفضا الدين القائم واخذا في البحث عن دين يلبي حاجتهما ٠ فقد جاء على لسان زيد انه قال : " شامت النصرانية واليهودية فكرهتهما ٠٠٠ حتى اتيت راهبا في صومعة ٠ فذكرت له اغترابي عن قومي وكراهتي عبادة الاوثان واليهودية والنصرانية " (١/ ١٦٢) ٠ وفعل ابو قيس ما فعله زيد ،فانه سأل من بيثرب من اليهود عن الدين ،فدعوه الى اليهودية فكاد يقاربهم ،ثم ابى ذلك وخرج الى الشام الى آل جفنة وسأل الرهبان والاحبار فدعوه الى دينهم فلم يرده (٤/ ٣٨٤) ٠ وقد وجد الاثنان ضالتهما في دين ابراهيم [٢١] ،دين الحنيفية كما سماه لهما الرهبان (١/ ١٦٢) (٤/ ٣٨٤) ٠ وكل ما عرفاه عن هذا الدين انه دين جدهم الذى كان حنيفيا ولم يكن يهوديا ولا نصرانيا [٢٢] (١/ ١٦٢)

---

(٢٠) الاصنام ص ٢١ ـ ٢٢ ،والمنمق ص ٥٣١ ـ ٥٣٢ ،والمحبر ص ١٧١ ـ ١٧٢
(٢١) السيرة م١ ،ص ٢٢٤ ،٢٣١ ـ ٢٣٢ ،والمحبر ص ١٧١ ٠
(٢٢) ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا " آية ٦٧ /آل عمران

ولم يكن لديهما كتاب يرجعان اليه ،لذلك اجتهد كل منهما جهده في البعد عن شعائر الوثنية . فلم يشركا مع الله الها آخر واعتزلا آلهة القوم واستقبلا الكعبة وصليا لربها ورفضا ما ذبح لغير الله وعلى النصب (٣/ ٣٧٩) (٤/ ٣٨٤) .

وذكر ان النبي قدم لزيد سفرة فيها لحم ،وكان ذلك قبل نزول الوحي ،فأبى ان يأكل منها وقال : " اني لا آكل مما تذبحون على انصابكم ولا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه " (٣/ ٣٨٠) . وذلك لانه عاب على قريش ذبائحهم وكان يقول : " الشاة خلقها الله وأنزل من السماء ماء وانبت لها الارض ثم يذبحونها على غير اسم الله ،انكارا لذلك واعظاما له .لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه " (٣/ ٣٨٠) . وقد أوجد تلبية يؤكد فيها بعده عن الاشراك ، فكان يقول في عرفة " لبيك لا شريك لك ولا ندلك " ثم يدفع من عرفة ماشيا وهو يقول : " لبيك متعبدا لك مرقوقا " (٣/ ٣٨٠) . وكان ينتظر زوال الشمس قبل ان يتوجه الى ربه مصليا حتى لا يصلي مع القوم المشركين ،وكان يحي الموؤدة فيأخذها ويكفي اباها مؤونتها حتى تترعرع (٣/ ٣٨١) . وكان زيد وابو قيس ، كلاهما ،يعتزان بكونهما يتبعان ملة ابراهيم . فقال ابو قيس وكان يعرف في يثرب بالحنيف : " ليس على دين ابراهيم الا انا وزيد بن عمرو بن نفيل " (٤/ ٣٨٤) اما رفيقه زيد ،فقد وقف مسندا ظهره الى الكعبة وقال : " يامعشر قريش ،ما منكم اليوم احد على دين ابراهيم غيري " (٣/ ٣٨١) .

اما سلمان الفارسي ،فقد كان مجوسيا ثم اعتنق النصرانية واخذ ينتقل من اسقف لآخر حتى اذا حان اجل صاحب عمورية وكان عنده ،سأله : " الى من توصي بي؟ " فقال له : " اي بني ،والله ما اعلم انه اصبح في الارض احد على مثل كنا عليه ... ولكنه قد اظلك زمان نبي يبعث بدين ابراهيم الحنيفية... فان استطعت ان تخلص اليه فاخلص وان به آيات لا تخفى " (٤/ ٧٧) .

وجاء على لسانه انه سأل عن هذا الدين رجلا يخرج بين غيضتين كل سنة ليلة يداوى اسقام الناس بالدعاء لهم ،فاجابه كما اجاب الراهب زيد بن عمرو : " انك تسأل عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم ،قد اظلك نبي يخرج من عند هذا البيت يأتي بهذا الدين الذي تسأل عنه فالحق به " وكان هذا الرجل كما ورد على لسان النبي عيسى بن مريم ان صدق سلمان في روايته [٢٣] (٤/ ٨٠ـ ٨١) . ولكن سلمان اختلف عن صاحبيه في انه لم يقل بانه على دين ابراهيم وبقي ينتظر خروج الرسول ،فلما تأكد انه النبي أسلم .

---

(٢٣) السيرة م ١ ،ص ٢٢٠ ـ ٢٢٢

المراجـــــع

١- ابن النديم - الفهرست - المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٣٤٨ هـ .

٢- ابن سعد - الطبقات الكبرى - دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ١٣٨٠ هـ ، ١٩٦٠ م .

٣- ابن هشام - السيرة النبوية - تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي ، الطبعة الثانية ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ١٩٥٥ .

٤- ابن حبيب البغدادي - المنمق - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٩٦٤ .

٥- هشام بن محمد السائب الكلبي - الاصنام - تحقيق احمد زكي - مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٢٤ .

٦- ابن حجر - فتح الباري بشرح البخاري - مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٩ .

٧- ياقوت بن عبدالله الحموي - معجم البلدان - دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ١٩٦٨ .

٨- ابن منظور - لسان العرب - طبعة دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ، ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨ م.

٩ـ الدكتور ليتمان ـ اسماء الاعلام في اللغات السامية ـ مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الاول ، ديسمبر ١٩٤٨ .

١٠ـ ابن حبيب البغدادي ـ المحبر ـ رواية ابن سعيد الحسن السكري ، منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر ـ بيروت .

١١ـ سنن ابي داود ـ حققه وعلق عليه محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٦٩هـ ، ١٩٥٠ م.

١٢ـ ابو الفرج الاصفهاني ـ الاغاني ـ دار الثقافة ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨١هـ ، ١٩٦٢ م .

١٣ـ البخاري بشرح الكرماني الطبعة الثانية، المطبعة البهية، القاهرة ١٩٣٢

١٤ـ Smith, W. Robertson, Lectures on the Religion of the Semites, Adam & Charles Black, London, 1894.

١٥ـ ~~Desmond Morris, The Naked Ape, Gorgi Books, 1969.~~

جدول بالأخبار
التي ذكر ابن سعد ان
ابن اسحاق وابن الكلبي من رواتها

المادة التي تتعلق ب	الطبقات الصفحة	الراوي	وردت في
سدانة صنم جهينة	ج ١/ص ٣٢٣	ابن الكلبي	
الاستسقاء	٩٠/١	ابن الكلبي	
رحمان اليمامة	١٦٥/١	ابن الكلبي	
هدم فراض لسعد العشيرة	٣٤٢/١	ابن الكلبي	
اولاد قصي واسماؤهم	٧٠/١	ابن الكلبي	
هبل ، صنم خزيمه	٦٩/١	ابن الكلبي	الاصنام ص ٢٨
قصي ودار الندوة	٧٠/١	ابن الكلبي	
التسمية بمحمد طمعا بالنبوة	١٦٩/١	ابن اسحاق	
بشرى بخروج النبي	٣٥٠/١	ابن الكلبي	
صفة النبي ونعته في التوراة وتعنت اليهود	١٦٤/١	ابن اسحاق	السيرة م١ ، ص ٥١٧

المادة التي تتعلق ب	الطبقات الصفحة	الراوى	وردت في
الاشهر الحرم وقتل خبيب	٥٦/٢	ابن اسحاق	السيرة م٢ ،ص ١٧٤
الحديث عن اتخاذ اليهود قبور اوليائهم مساجد	٢٤٠/٢	ابن اسحاق	
نحت القداح في حجرة زمزم	٧٣ /٤	ابن اسحاق	السيرة م١ ،ص ٦٤٧
غسل ابي لهب قبل دفنه	٧٤ /٤	ابن اسحاق	
نار المجوس	٧٥ /٤	ابن اسحاق	السيرة م١ ،ص ٢١٤
الرجل الذى يخرج بين الغيضتين مرة في السنة ودين ابراهيم الحنيفية	٨٠/٤	ابن اسحاق	السيرة م١ ،ص٢٢١ـ٢٢
حرق ذي الكفين	٢٤٠/٤	ابن اسحاق	